السودان وثورتهم فى المدينة المنورة

١٤٥هـ / ٧٦٢م

دكتورة
صفاء حافظ عبد الفتاح
كلية آداب بنها

١٩٩١





المقـــــدمـة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين . وبعد :

في عام (١٤٥ هـ / ٧٦٢ م) أشعلت جماعات السودان بالمدينة المنورة ثورة ضد الحكم العباسي القائم بالمدينة المتمثل في الوالي العباسي والجند التابعين له ، وعلي الرغم من أن هذه الثورة كانت ثورة محلية لم تتعد حدود المدينة ، وانتهت أحداثها كما بدأت في سرعة كبيرة ، الا أن هذه الثورة تمثل أهمية خاصة في تاريخ المدينة في العصر العباسي الأول ، حيث تلقي الضوء علي كثير من الأوضاع السائدة في المدينة المنورة خلال تلك الفترة بوجه عام وعلي طائفة السودان بوجه خاص .

وعلي الرغم من وجود طائفة السودان بأنواعها المختلفة من نوبة وأحباش وزنج في المدينة منذ العصر الجاهلي ، واستمرار هذا التواجد في العهد الاسلامي ، وتأثير هذه الطائفة في بعض نواحي الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية والأدبية لأهل المدينة ، إلا أن المؤرخين المسلمين لم يوجهوا عناية كبيرة للحديث عن شئون طائفة السودان في المدينة المنورة،ومن كتب منهم عن ثورة السودان التى نحن بصدد البحث فيها كانت كتابته مقتضبة لا تتعد سرد الأحداث باختصار شديد وحتى الجاحظ (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) الذي أفرد احدى رسائله المعروفة للحديث عن السودان تحت عنوان

(فخر السودان على البيضان) لم يشر لهذه الثورة التي حدثت قبل أن يكتب رسالته مع أنه أشار لأحداث أقل منها فى الأهمية .

وفي الواقع لم يكن عدم اهتمام المؤرخين المسلمين بأحوال السودان قاصرا علي سودان المدينة فحسب ، ولكنه أمتد الي طائفة السودان في الدولة الاسلامية عامة ، وباستثناء الجاحظ لم تتجه عناية المؤرخين إلي هذه الطائفة من طوائف المجتمع إلا بعد قيامهم بثورتهم المشهورة في العراق في عام (٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) ، وظهر عجز الدولة العباسية عن القضاء عليها طيلة خمسة عشر عاما ، فبدت هذه الثورة فى كتب المؤرخين المسلمين وكأنها حدث مفاجيء لامقدمات له ، ولو أن هؤلاء المؤرخين أهتموا بما حدث من ثورة للسودان في المدينة لكان إدراكهم أن ثورة السودان في العراق ليست حدثا مفاجئا ، علي الرغم من الاختلاف الواضح بين أسباب وأهداف كل من ثورة السودان في المدينة ، وثورة الزنج في العراق.

واقتضت هذه الدراسة أن أقسمها إلي مقدمة وفصلين وخاتمة . تحدثت في المقدمة عن أهمية هذا البحث ، وفي الفصل الأول عرضت لأحوال السودان في المدينة حتى بداية العصر العباسي ؛ فتحدثت عن أنواع الرقيق الأسود في المدينة ، واختلاف هذه الأنواع تبعا لاختلاف الموطن الذي أتت منه في أفريقيا ، ومدلول لفظ السودان الذي أطلق علي هذه الطائفة ، ثم عرضت لتزايد أعداد السودان في المدينة بعد الاسلام ، والأسباب التي أدت إلي ذلك ، ثم تتبعت الدور الذي لعبه السودان في الحياة الاقتصادية ، وما كان من مساهمتهم في أعمال الزراعة والرعي ، وكثير من الصناعات ،

والأعمال التجارية. هذا فضلا عن بعض الأعمال الشاقة الأخري ، كذلك تحدثت عن أثر السودان في الحياة الاجتماعية فى المدينة ؛ ودورهم في نقل بعض العادات وأنواع من التسلية واللهو ، وكذلك تأثيرهم في الحياة الأدبية . وفي نهاية هذا الفصل كشفت عن الدور الذى ساهم به السودان فى الدعوة الإسلامية ومالاقوه من عنت وتعذيب في سبيل ذلك ، وما اضطلعوا به من دور بارز في الجهاد الذي خاضه المسلمون في سبيل نشر الإسلام سواء في عصر الرسالة أو خلال الفتوحات الاسلامية ، كما عرضت لمشاركتهم في الاشتباكات الحربية التي حدثت في المدينة خلال العصر الأموي .

وفي الفصل الثاني تحدثت عن ثورة السودان في المدينة في العصر العباسي ، فناقشت المقدمات والأسباب التي دفعت السودان إلى الثورة على الوالى العباسي وجنده ، ثم عرضت لأحداث ثورة السودان وتنظيمها ، ثم تحدثت عن موقف أهل المدينة من هذه الثورة، وأثر هذا الموقف في سرعة انتهاء الثورة ، وأثناء ذلك كشفت عن دلالات أحداث هذه الثورة وما نستنتجه منها عن أحوال السودان وعلاقتهم بأهل المدينة خلال تلك الفترة من العصر العباسى ، ثم ختمت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت اليها .

وختاما : أحمد الله تعالى الذى وفقنى لإنجاز هذا العمل والله ولى التوفيق .

القاهرة في يوليو ١٩٩١م

د.صفاء حافظ عبد الفتاح

الفصل الأول

أحوال السودان في المدينة المنورة حتى بداية العصر العباسي

أصل الرقيق الأسود وأنواعه فى المدينة :

يرجع وجود الرقيق(١) الأسود في الجزيرة العربية إلى ماقبل

---

(١) كان الرق نظاما شائعا بين شعوب العالم القديم . فعرفه اليهود واليونان ، والرومان ، والعرب . وكان العرب يحصلون علي الرقيق عن طريق الأسري في الحروب التي كانوا يغزون فيها بعضهم البعض . وعن طريق شراء الرقيق من الأسواق التي كانت تباع فيها أنواع الرقيق المختلفة من البربر، والصقالبة، والأتراك ، والفرس ، والسودان . وكان تاجر الرقيق يسمي (نخاسا) . وظل نظام الرق معمولا به في الاسلام . إلا أن الخليفة عمر بن الخطاب منع استرقاق العرب . ولما كان وقوع الكافر أسيرا في أيدي المسلمين في أثناء الحرب سببا في استرقاقه . فقد كثر عدد الرقيق كثرة هائلة . نتيجة للفتوحات الإسلامية . ووزع المسترقون رجالا ونساء علي الفاتحين حكمهم في ذلك حكم الغنائم التي يحصل عليها المسلمون . وكان الرقيق من الوجهة القانونية يعد ملكا للسيد كالمال . تجري عليه كل العقود المالية من اجارة ، ورهن ، وبيع ، وشراء ، ووصية . ومن هنا لم يعد إمتلاك الرقيق وقفا علي المحاربين . فأصبح في متناول أيدي الناس ، الذين أقبلوا علي امتلاكه لمعاونتهم في شتي مجالات الحياة . ولم يشترط لأجل بقاء الرق بقاء سببه . فلو وقع كافر في الأسر فاسترق . ثم أسلم لايزول عنه الرق إلا بالعتق من مالكه . ويجوز للسيد أن يستمتع برقيقه من النساء . فإذا ولدت احداهن ولدا فهو ابنه . واذا مات عنها سيدها فهي حرة . وأوجب

=

الاسلام ، فكان العرب – وخاصة أهل الحجاز(٢) – يقبلون علي شرائه من الأسـواق التي يبـاع فيها(٣) وكان تجار العرب يجلبـون

الاسلام حسن معاملة الرقيق ، وحبب للمالك العتق ، فجعله كفارة عن بعض الذنـوب والجرائم ، وكان للعبد الحق في شراء حريته بأن يكاتب علي نفسه بثمنه ، يدفعه أقساطا لسيده ، ومتي أدي ما عليه صار حرا ، ولم تكن الصلة بين المالك وعبده تنقطـع بعد عتقـه ، فكانت تظل بينهما صلة يطلق عليها (الولاء) فيقال فلان مولي فلان ، انظر ، مالك ، المدونة الكبري مطبعة السعادة، القاهرة ، ١٣٢٣هـ، جـ٢ ص ٤٨١، جـ٣ ص ١٥٤ ، جـ٤ ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٤١٤ ، ٤٣٠ ، ٤٣٥ ، جـ٦ ص ٢ ، ٣ ، ٢٦ ، ٤٢ ، أبو عبيد ، الأموال ، تحقيق ، محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٤٦ – ١٤٧ ، ٤٦٢–٤٦٦ ، أبو نعيم ، حلية الأولياء ، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧م، جـ٢ ص ٢٦٧–٢٦٨ ، جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، مكتبة النهضة ، بغـداد ، ١٩٨٠م ص ٢٦٦–٢٦٧، أحمد أميـن ، فجر الاسلام ، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٩م، ص ٨٧–٨٩، ضحي الاسلام ، مكتبة النهضة، بغداد ١٩٨٠م ، ص ٢٦٦–٢٦٧، وانظر.
The Ency of Islam, (new edition), (Art ABD), Leiden, Brill, 1979 Vol. I, pp. 24–31.

(٢) الحجاز هو سلسلة جبال السروات الممتدة من اليمن إلي قرب الشام، وسمي الحجاز حجازا لأنه يحجز بين تهامة ونجد، وكل ما اشتملت عليه هذه الجبال من مدن وقري وسكان فهو حجازي ، ومدنه مكة والطائف والمدينة ، انظر، الاصطخري ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، وزارة الثقافة ، القاهرة ١٩٦١ م ، ص٢١ ، الأصفهاني، بلاد العرب ، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي ، دار اليمامة ، الرياض ١٩٦٨ م، ص ١٤، ياقوت ، معجم البلدان، دار احياء التراث العربي ، بيروت، جـ٢ ص ٢١٨–٢٢٠ .

(٣) كان الرقيق يباع في أسواق العرب كسوق عكاظ ، وسـوق دومـة

الرقيق الأسود لهذه الأسواق من افريقيا التي ارتبطت بجزيرة العرب بعلاقات تجارية قديمة، كان الرقيق الأسود يمثل السلعة الأولي فيها(٤). وكان للرقيق الأسود أصنافه التي تختلف باختلاف موطنه الأصلي في أفريقيا : فكان منه النوبة، والحبشة ، والزنج(٥)،

الجندل، وكان لليهود من بني قينقاع سوق بالمدينة تسمي حباشه ، وهي مخصوصة لبيع العبيد ، وكانت تجارة الرقيق تدر ربحا كبيرا علي أصحابها، فكان عبد الله بن جدعان ممن يشتغلون بتجارة الرقيق ، وكان من أثرياء مكة المعدودين ، انظر ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف ، القاهرة جـ١ ص ٤٦٧ ، ابن حبيب المحبر، دارالأفاق الجديدة، بيروت ، ص ٢٦٤ ، ياقوت ، المصدر السابق ، جـ٢ ص ٢١٠-٢١١ ، ابن حجر ، الاصابة في تمييز الصحابة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨م ، جـ٢ ص ٥٩٨ ، جـ٨ ص ٥ ، ابن شبه ، تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق فهيم شلتوت ، دار الأصفهاني ، جده ، ١٩٧٩م ، جـ١ ص ٣٠٩ .

(٤) عن العلاقات التجارية بين العرب وافريقيا قديما ، انظر ، حسن ابراهيم حسن ، انتشار الاسلام في افريقيا ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٨٤م ، ص ٢٦-٢٧ ، محمد بيومي مهران ، تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٨م ، ص ٣٨٣ ، ترمنجهام ، الإسلام في شرق افريقيا ، ترجمة عاطف النواوي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٣م ، ص ٢٧ ، ٢٩ ، ٦٠.

(٥) قسم الجاحظ السودان إلي قسمين : السودان الخلص وهم أهل النوبة والحبشة والزنج ، والسودان أشباه الخلص ، وهم أهل السند والهند وسرنديب، وبعض القبائل العربية التي غلب علي لونها السواد كبني سليم ، وغيرهم من سكان الحرة، انظر، الجاحظ ، رسائل الجاحظ (فخر السودان علي البيضان) تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ٢١٠، ٢١٢، ٢١٩.

وكـان رقيـق النـوبة(٦) والحبشـة(٧) يأتـي للحجاز من بلاد النوبـة

(٦) كان رقيق النوبة معروفا لدي بعض القبائل العربية قبل الاسلام مثل بني ثعلبة وبني حنيفة ، ولذلك وجد منهم عدد ليس بالقليل في المدينة المنورة في بداية العهد النبوي ، وكان بعضهم يخدم الرسول صلي الله عليه وسلم ، كما أعطي الرسول لأبنته فاطمة جارية نوبية تساعدها في الأعمال المنزلية ، انظر البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ١ ص ٤٧٩-٤٨٠ ، ابن حجر، المصدر السابق، جـ٢ ص ٥٩٢ ، جـ٦ ص ٤٧٨، جـ٧ ص٠٣٥٠، ٣٥٢، ٤٧٦-٤٧٧ ، جـ٨ ص ٧٥ ، ٢٢٦ .

(٧) عرف العرب رقيق الحبشة منذ القدم ، وامتلك أهل مكة منهم أعدادا كبيرة ، فامتلك عبد الله بن ربيعة المخزمي عددا كبيرا من العبيد الأحباش ، وكان بلال بن رباح عبدا حبشيا لأمية بن خلف ، وكان للرسول (صلي الله عليه وسلم) جارية حبشية تدعي أم أيمن أو بركـة ورثـها عن أبيه هي وعبـد آخـر يسمي شقران ، وأحب أهل مكة امتلاك الأحباش حتي قيل انه من بين أسباب عداوة الحبش للعرب واقدامهم علي غزو اليمن ، ومهاجمتهم الكعبة ، أن العرب كانوا يخطفون الأحباش من سواحل الحبشة ، ويبيعونهـم أرقـاء في أسـواق الجـزيرة العـربيـة ، انظـر ، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٣م ص ٢٥٣ ، ابن الأثير ، أسد الغابة في معـرفة الصحـابة ، مطبعـة الشعب ، القاهرة، ١٩٧٠م، جـ١ ص٢٤٣-٢٤٥، ابن حجر، المصدر السابق جـ٣ ص٢٥٢، جـ٧ ص ٥٢١ ، ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء مطبعة المدني ، القاهرة ، جـ١ ص ٢٤٦ ، الأصفهاني ، كتاب الأغاني ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، جـ١ ص٦٥ ، يوسف أحمد ، الاسلام في الحبشة ، القاهرة ، ١٩٢٥م ، ص ٦-٧ محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .

والحبشة عبر بحر القلزم(٨) (البحر الأحمر) حيث لعب هذا البحر دورا هاما في توثيق العلاقات التجارية بين اقليم الحجاز من جهة وبين البلاد الواقعة علي الشاطيء الغربي لهذا البحر من جهة أخري ، أما رقيق الزنج(٩) فكان تجار جنوب الجزيرة العربية يجلبونه من شرق افريقيا التي عرفها ، العرب قديما باسم بلاد

---

(٨) سمي البحر الأحمر ببحر القلزم نسبة لمدينة القلزم (السويس الحالية) التي تقع علي طرفه الشمالي ويقع هذا البحر في اخدود يفصل بين قارتي آسيا وافريقيا ويمتد من جنوب سوريا حتي تنجانيقا ، وعرف العرب الملاحة في هذا البحر منذ القدم واتصلوا عن طريقه بمصر وبشرق السودان والحبشة ، وفي العصر الاسلامي ازدهرت التجارة فيه مما زاد في الروابط بين هذه البلاد . انظر ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ١٢٦، المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار صادر بيروت ، جـ١ ص ١٦ ، عطية القوصي ، تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتي سقوط الخلافة العباسية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٦م ، ص ١٠-١١ ، ١٩ ، انظر .

The Ency of Islam, op, cit., p. 32. Rushbrooke. E, western Arabia and the red Sea, oxford, 1946, pp. 59–60.

(٩) من المرجح ان كلمة زنج مستمدة من الكلمة الفارسية المماثلة لها والتي معناها الأسود ، وأطلقها العرب علي قبائل البانتو التي سكنت ساحل شرق افريقيا منذ القدم ، انظر ، جونز ، الاسلام في ممالك وامبراطوريات افريقيا السوداء ، ترجمة مختار السويفي ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص ١٣١ ، ترمنجهام ، المرجع السابق ، ص ١٢ ، ١٨ .

الزنـج(١٠)، وكـان الرقيـق يأتي ضمن السلع الأفريقيـة التي تنتقـل

(١٠) أطلق العرب قديما اسم (بلاد الزنج) علي ساحل شرق افريقيا ، (وشرق أفريقيا) اصطلاح يطلق علي المنطقة الممتدة من الصومال شمالا حتي موزمبيق جنوبا وقـد عـرف العرب قديما الابحار لشرق افريقيا بمساعدة الرياح الموسمية ، وجلبوا منها سلعا منها الأخشـاب والجلود ، والعنبر ، والذهـب ، والرقيق ، وكانت العلاقات التجارية سببا في استقرار بعض التجار العرب علي هذا الساحل ، وفي العهد الاسلامي هاجرت إليه جماعات من العـرب والفـرس المسـلمين لأسـباب سياسية ، واستقرت هذه الجماعات هناك، وأنشأت مدنا ساحلية عديدة واختلطوا بأهل البلاد ، وتزوجوا من نساء البانتو ، ونتج عن هذا الاختلاط شعب جديد أطلق عليه أسم (السواحيليون) ، الذين يتكلمون اللغة السواحيلية ، وهي مزيج من العربية والأفريقية ، وظلت تلك المدن كمقديشيو ، وبراوة ، وبيت ، ومالندي ، وممبسة ، وبمبا ، وزنزبار ، وموزمبيق ، وسوفالا ، وكلوة مثالا لحضارة اسلامية زاهرة، حتي قضي عليها البرتغاليون ، الذين دخلوا إلي تلك المنطقة ، واستعمروها بعد اكتشافهم لطريق رأس الرجاء الصالح في سنة ١٤٩٧م، انظر، المسعودي ، التنبية والاشراف، دار مكتبة الهلال، بيروت ، ١٩٨١م، ص٦٧، المسعودي، مروج الذهب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، جـ١ ص ١٠٧، ١٠٨ ، ١١٢، الاصطخري ، المصدر السابق ص ٣٢ ، ابن حوقل ، المصدر السابق ص ٤٩ ، ٦٣، ياقوت المصدر السابق جـ٣ ص٢٥٤ ، جـ٥ ص٢٣، ابن بطوطه، رحلة ابن بطوطة ، دار صادر بيروت ، ص٢٥٧، ٢٥٩، أرنولد ، الدعوة إلي الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصـرية، القاهرة ١٩٧٠م ، ص٢٧٨–٢٨٠ . ترمنجهام، المرجع السابق ، ص١٢، ١٨، ٢٥، ٢٧، ٣٩، جونز، المرجع السابق، ص١٣١،١٣٢، حسن محمود ، الاسلام والثقافة العـربية في افريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة ص٢٧٦، ٢٨٦، عبد الله بخيت محمد، دراسات في الأدب السواحيلي مكتبة النهضة ، القاهرة ، ص ٦١ ، ٦٢ ، ٦٩.

منها إلى الخليج العربي حيث يدخل بعضه إلي الجزيرة العربية فيباع فيها، وينقل الباقي ليباع في العراق والشام وغيرها من البلاد(١١).

مدلول اسم السودان :

امتلك أهل المدينة المنورة أعدادا من الرقيق الأسود منذ العصر الجاهلي (١٢) ولما كان هذا الرقيق يضم أعدادا من الحبشة والسودان والزنج(١٣) فان المصادر أطلقت عليهم لفظا جامعا، فسمتهم (السودان)(١٤) نسبة لسواد البشرة الذي يميز أصنافهم عن

---

(١١) عبد الله بخيت محمد ، المرجع السابق ، ص٦٩، قدري قلعجي ، الخليج العربي، دار الكاتب العربي ، بيروت ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(١٢) ابن حجر، المصدر السابق ، جـ٦ ص٦٨٠-٦٨١، السمهودي ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفي ، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٥٥م، جـ١ ص٢٦٢ ، أحمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية والاسلام ، دار الفكر العربي ، ص ٤٠١ ، عبد الله عبد العزيز بن ادريس ، مجتمع المدينة في عهد الرسول (صلي الله عليه وسلم) ، عمادة شئون المكتبات بجامعة الملك سعود الرياض ، ١٩٨٢م ، ص ٧٥ - ٧٦ .

(١٣) من المرجح أن أعداد الرقيق من الزنج في المدينة المنورة كانت قليلة بالقياس لعددهم من النوبة والأحباش فلم تتحدث المصادر عنهم إلا في اشارات قليلة ، انظر الطبري ، المنتخب من كتاب ذيل المذيل ، ملحق بتاريخ الطبري ، دار المعارف ، القاهرة ، جـ١١ ص ٦٣٢ ، البيهقي ، المحاسن والمساويء ، دار احياء التراث ، بيروت ، ص ٦٣٨ .

(١٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف ، القاهرة جـ٧ ص٩٠٦، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٩٨٠م، جـ٥ ص١٢، ابن كثير ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت، جـ١٠ ص٩٠، ابن حزم ، المصدر السابق ، ص٤٣٦،
-

غيرهم من الرقيق ، كما يطلق في المقابل علي العجم (البيضان)، و(الحمران)(١٥) نسبة لبياض البشرة أو احمرارها ، ولذلك فان المصادر(١٦) عندما تتحدث عن السودان فهي تعني الرقيق الأسود الذي يضم الأصناف الثلاثة سابقة الذكر ، ومما يؤكد هذا القول أن المصادر(١٧)عندما تحدثت عن جماعة الرقيق الأسود الموجودة

ويطلق عليهم ابن خلدون اسم (العبيد) ومع أن كلمة عبد تطلق لغويا علي المملوك غير الحر ، فيقال : (عبد رومي) أو (عبد حبشي) الا أن هذه الكلمة أصبحت في العصر المتأخر تطلق علي العبيد السود فقط ، فاذا ما قيل عبد عرف أن المقصود بها (العبد الأسود) انظر، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، جـ٣ ص١٩٣ ، آدم متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، جـ١ ص ٣١٢ ، وانظر .

The Ency, op, cit,. p. 24.

(١٥) الجاحظ ، المصدر السابق ، ص٢١٠ ، المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ص٢١٤،٢١٧ ، ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، جـ٤ ص ٢٠٩ .

(١٦) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ٢ ص ٤ ، ٢٠ ، ابن بطوطة، المصدر السابق ، ص ٦٩ ، الأصفهاني ، الاغاني ، جـ١ ص ٢٤٧ .

(١٧) شكل الزنج طبقة كبيرة تملكها أصحاب الأراضي ذات الملكيات الكبيرة في العراق للعمل في منطقة المستنقعات المحصورة بين النهرين والممتدة من من البصرة إلي واسط حيث قاموا بازالة الملح من تلك الأراضي السبخة لتصبح صالحة للزراعة ، وعاش هؤلاء الأرقاء في ظروف اجتماعية

بالعراق ذكرتهم باسم (الزنج) ، ذلك لأن الرقيق الأسود الموجودة بالعراق كان يأتي معظمه من بلاد الزنج بافريقيا(١٨) وذلك لأن المسافة بين ساحل العراق المطل علي الخليج العربي والساحل الشرقي الأفريقي أقل بكثير من المسافة بين العراق وبلاد الحبشة والنوبة ، وسوف نستخدم في هذه الدراسة لفظ السودان ، لأنه اللفظ المستخدم في المصادر ، ولأنه لفظ عام يشمل كل من كان له لون أسود دون النظر الي موطنه الذي جاء منه إلي المدينة المنـورة.

= بالغة السوء، يعاملون معاملة كلها ضعة واحتقار ويعانون الحرمان في مأكلهم وملبسهم ومعيشتهم وقد استطاع علي بن محمد الذي ادعي نسبا علويا أن يجمع هؤلاء الزنج حوله ليقوم معهم بثورة شق فيها عصا الطاعة علي الدولة العباسية في سنة (٢٥٥هـ/٨٨٣م) واستولي علي جانب كبير من أراضي البصرة وما حولها كعبدان الأبلة . وبنوا لأنفسهم حاضرة سموها المختارة وطوال ما يقرب من خمسة عشر عاما اشتبكت جيوشهم مع جيوش الخلافة في معارك ضارية ولم تستطيع الدولة أن تتغلب عليهم وتقضي علي ثورتهم الا بعد صراع مرير كلفها الكثير من الجهد والمال ، انظر ، الطبري ، المصدر السابق ، جـ ٩ ص ٤١٠ وما بعدها ، ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٢٥٨ وما بعدها ، المسعودي ، مروج الذهب، جـ ٤ ص ١٩٤-١٩٥ ، ابن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية ، دار صادر ، بيروت ، ص٢٥٠-٢٥١ ، مجهول ، العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، تحقيق نبيلة عبد المنعم ، مطبعة النعمان، النجف ١٩٧٢م، جـ٤ ص٤٧-٥٤ .

(١٨) قدري قلعجي ، المرجع السابق ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ ، محمود محمد الحويري ، ساحل شرق افريقيا ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦، ص٥٨.

تزايد أعداد السودان في المدينة :

زادت أعداد السودان بالمدينة المنورة بعد هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إليها ، فقد هاجر إليها كثير من هؤلاء العبيد ممن كانوا في مكة(١٩) بعد اعتناقهم الإسلام ، وكان منهم من جاء للمدينة بعد نيل حريته ، حيث كان بعض الصحابة يشترون هؤلاء العبيد من أسيادهم ، ويعتقونهم لإنقاذهم من العذاب الذي وقع عليهم بسبب اسلامهم(٢٠)، وكان منهم من هاجر للمدينة هاربا من مكة والطائف لنفس السبب السابق(٢١)، ومن المرجح أن أعدادا أخرى من هؤلاء

---

(١٩) امتلك أهل مكة قبل الاسلام أعدادا كبيرة من الرقيق الأسود لخدمتهم وانجاز كثير من أعمالهم ومما يدل علي كثرتهم أن هندا بنت عبد المطلب أعتقت في يوم واحد أربعين عبدا من عبيدها ، وكان لعبد الله بن أبي ربيعة المخزومي عدد كبير من العبيد ، يعملون في شتي المهن ، انظر ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ص ٦٥ ، جواد علي ، المرجع السابق ، جـ ٤ ص١١٨-١١٩ أحمد ابراهيم الشريف . المرجع السابق . ص٢٤٨-٢٤٩، شوقي ضيف . العصر الجاهلي . دار المعارف القاهرة . ١٩٦٠م . ص٤١، وانظر. The Ency. op. cit., p 24.

(٢٠) ابن حبيب، المصدر السابق، ص١٨٣، مالك ، المصدر السابق، جـ٢ ص٢٢، ابن شبه، المصدر السابق، جـ٢ ص٨٢٨، ٨٥١-٨٥٢، الفيروزبادي، المغانم المطابه في معالم طابة ، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة الرياض، ١٩٦٩م، ص٢٩٠.

(٢١) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ١ ص ٢٦٧ ، ابن شبه ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص٤٨٠-٤٨١ ، ابن حجر ، المصدر السابق جـ ٦ ص ٦٤٣، أحمد أمين ، فجر الاسلام ، ص ٨٨ .

العبيد دخلت إلي المدينة بصحبة سادتهم من أهل مكة الذين هاجروا إلي المدينة المنورة أو الذين انتقلوا اليها بعد فتح مكة ليعيشوا إلي جوارالرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد دخولهم الإسلام. وبالإضافة لهؤلاء دخل إلى المدينة المنورة عدد من الأحباش بصحبة المسلمين الذين كانوا قد هاجروا إلى الحبشة عندما اشتد عليهم أذي الكفار في مكة ، ولما هاجر الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة المنورة رجع هؤلاء من الحبشة إلى المدينة ، وتروى المصادر (٢٢) أن جماعة من الأحباش طلبوا من النجاشى ملك الحبشة أن يأذن لهم فى الخروج إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد اعتناقهم الاسلام، فسمح لهم بذلك، فانضموا للمسلمين فى المدينة المنورة وعاشوا بها وحضروا مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) غزواته .

كان وجود العبيد من السودان فى العهد النبوى ضرورة لا غنى عنها للقيام بكثير من الأعمال والخدمات التى يصعب على المجاهدين القيام بها لانشغالهم بأمر الغزوات ونشر الاسلام ، ولذلك فقد استمرت تجارة الرقيق فى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصبح لها من يتعهدها ، وكان يطلق عليه صاحب الرقيق(٢٣) ،

---

(٢٢) روت المصادر أن عدد هؤلاء الأحباش كان ثلاثة وثلاثين رجلا من الحبشة وأضافوا اليهم ثمانية من أحباش الشام وذكروا منهم بحيرا، وأبرهة، والأشرف ، وتمام ، وادريس، وأيمن ، ونافع ، وتميم، انظر، ابن الأثير، أسد الغابة ، جـ١ ص٢٠، ابن حجر، المصدر السابق ، جـ١ ص٢١-٢٢-٣٦٦، ٤٨٢، جـ٦ ص٦٨ .

(٢٣) ويذكر ابن حجر أن اسمه كان أبو الجعيجعة ، انظر، ابن حجر، المصدر السابق ، جـ ٧ ص ٦٦ .

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يشتري من رقيق السودان ويمن عليه بالعتق ومما يثبت هذا الأمر كثرة من ذكرتهم المصادر (٢٤) من موالى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من السودان.

لم تتوقف أعداد السودان عن الازدياد خلال عصر الخلفاء الراشدين فقد كانت تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣ هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م) تقضي بألا يوزع الرقيق الذي غنمه المسلمون في الحروب إلا في المدينة المنورة حاضرة الدولة ؛ ولذلك امتلأت المدينة وما حولها بالسبي من الرقيق(٢٥) ومنه السودان ، ولما كانت الحبشة ليست دار حرب (٢٦) وكذلك أرض الزنج ، ولم يحاول العرب غزوهما للفتح ؛ فقد كانت بلاد النوبة هي أهم مورد للرقيق الأسود في تلك الفترة(٢٧) حيث انتهت محاولات العرب

---

(٢٤) البلاذري ، انساب الأشراف ، جـ١ ص ٤٦٧-٤٩٤ . ابن حجر، المصدر السابق ، جـ٦ ص ٣٥٢ ، جـ ٧ ص٣٥٠، ٣٥٢ .

(٢٥) عن كثرة عدد الرقيق بالمدينة انظر ، ابن حجر المصدر السابق ، جـ٦ ص ٦٨٠-٦٨١ ، أحمد أمين ، فجر الاسلام ، ص ٩٣ . وقد ترك الزبير بن العوام ألف عبد وأمة، انظر المسعودي، مروج الذهب، جـ٢ ص٣٤٢.

(٢٦) الأصطخري ، المصدر السابق ، ص٢٢ ، ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٦١ .

(٢٧) اتجهت جيوش العرب بعد فتح مصر في سنة (٢٢ هـ / ٦٤٢م) لتأمين الحدود الجنوبية ، فتوالت حملاتهم علي بلاد النوبة المسيحية التي كانت تعتدي علي جنوب مصر ، ولكن هذه الحملات فشلت في تحقيق هدفها أثناء ولاية عمرو بن العاص ، فلما تولي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح أعد جيشا كبيرا سار هو علي رأسه ، وهاجم النوبة المسيحية ، وحاصر

لفتحها بعقد معاهدة صلح بين الطرفين وسميت هذه المعاهدة بمعاهدة (البقط)(٢٨)، وكان من نصوص هذه المعاهدة أن يقدم أهل النوبة للمسلمين « في كل سنة ثلاث مئة وستون رأسا يدفعونها إلي إمام المسلمين من أوسط رقيق بلادكم غير المعيب ، يكون فيها

عاصمتها دنقلة ، مما أجبر ملكها علي طلب الصلح وعقد معاهدة مع العرب في سنة (٣١هـ/٦٥٢م) قدمت بمقتضاها النوبة لدولة الخلافة عددا من العبيد، والحيوانات النادرة وفي المقابل قدم العرب للنوبة مقدارا من القمح وغيره من الحبوب والمنسوجات والكسوة ، وظلت بنود تلك المعاهدة تنفذ حتي العهد الفاطمي ، وانقطعت باضمحلال النوبة واستيلاء المسلمين عليها ودخولهم في الإسلام ، انظر ، ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد صبيح، دار التعاون للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٦٨م، ص١٢٨، الكندي، الولاة والقضاة ، بيروت ، ١٩٠٨ م، ص١٢ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، نشر صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٩٨٦ م ، ص٢٨٠ ، المقريزي، المصدر السابق ، جـ١ ص٩٩-٢٠٠، أرنولد ، المرجع السابق ، ص١٣٠-١٢٢، وانظر، Trimingham, Islam in the Sudan, London, p. 60.

(٢٨) اختلفت الأراء في معني كلمة (بقط) فيري البعض أن أصلها كلمة بكتن اليونانية وكلمة (pactum) اللاتينية ، وأن هذه الكلمة استخدمت في العصر اليوناني المتأخر للدلالة علي اتفاق يتعهد فيه الطرفان بالتزامات متبادلة، وقيل إنها كانت كلمة مصرية قديمة معناها (عبد) وظهرت في المصنفات العربية اصطلاحا علي الجزية التي كانت تؤديها النوبة ، ويري المقريزي ان كلمة بفط كلمة عربية من قولهم في الأرض بقط من بقل وعشب ، أي نبذ من مرعي فيكون معناه علي هذا بعض ما في أيدي النوبة. انظر، المقريزي ، المصدر السابق ، جـ١ ص٩٩-٢٠٠ ،ارنولد المرجع السابق، ص١٣٠-١٢٢ ، دائرة المعارف الإسلامية ، مادة بقط ، جـ٧ ص ٤٥٢- ٤٥٤ .

ذكران وانـاث ، ليـس فيهـا شـيخ هـرم ولا عجـوز ، ولا طـفـل لم يبلغ الحلم تدفعـون ذلك إلي والي أسوان »(٢٩)، وتوضح هذه المعاهدة أن هذا العدد من رقيق النوبة كان يرسل سنويا للخليفة في المدينة المنورة طالما ظلت المدينة حاضرة للخلافة طوال عصر الخلفاء الراشدين ، كما أن هذه المعاهدة أتاحت للتجار المسلمين دخول النوبة للمتاجرة ، ومن المرجح أن ذلك كان له أثره في زيادة أعداد الرقيق من النوبة في الدولة الإسلامية عامة .

ومـع انتقـال حاضرة الخلافة إلي دمشـق في العصر الأموي لم تحرم المدينـة من ورود السـودان إليهـا ، ذلك أن وفرة الأموال لدي أهل المدينـة في تلك الفـترة جعلتهم يقبلون علي نمـط جديد من الحيـاة ظهر عليهم فيـه اليسـار والنعمـة فبنـوا القصور(٣٠)، وعاشـوا حيـاة البـذخ والترف وأمتلكوا الرقيق للقيـام بخدمتهم ، وانجاز أعمالهم ، فاكتظت به قصـورهم ، ومنازلهم وأسـواقهم ، ومن الأمثـلة التي تؤكد ذلك أن عمـرو بن سـعيد الأشـدق(٣١)،

---

(٢٩) المقريزي ، المصدر السابق ، جـ١ ص١٩٩-٢٠٠، ويذكر المسعودي اختلافا في أعداد الرقيق المذكورة فيقول إنها كانت ٣٥٠ رأسا ولأمير مصر ٤٠ رأسا ، وللمتولي قبضها ٢٠ رأسا ، ولصاحب أسوان ٥ رؤس ، ولمن يحضر تسليم الرقيق ١٢ رأسا ، انظر ، المسعودي ، مروج الذهب ، جـ٢ ص٢١.

(٣٠) عن اهتمام أهل المدينة ببناء القصور ، انظر ، المسعودي ، مروج الذهب جـ٢ ص٣٤٢ ، السمهودي، المصدر السابق جـ٣ ص١٠٤٢-١٠٥٤.

(٣١) لقب عمرو بن سعيد ، بالأشدق لفصاحته ، وولاه معاوية بن ابي سفيان المدينة سنة (٦٠هـ/٦٧٩م) ولما فشل في أخذ البيعة من وجوه الصحابة في المدينة ليزيد بن معاوية ، عزله الخليفة معاوية بن أبي سـفيان عنها.

كان يمتلك ألف عبد(٣٢).

وساعد أهل المدينة في الحصول علي الرقيق من السودان رواج تجارة الرقيق عامة في العصر الأموي ، بسبب كثرة الأسري ، نتيجة لاتساع حركة الفتوح في ذلك العصر ، وعجز أسيادهم عن الانفاق عليهم فعملوا علي التخلص منهم ، فكان النخاسون يأتون للحجاز لبيع رقيقهم كما أن أهل الحجاز كانوا يدفعون برقيقهم للنخاسيين لبيعه مقابل اعطائهم نسبة من الربح ويثبت ذلك أنه كان بالمدينة دار تسمي دار الرقيق ، كما كان بسوق المدينة مكان مخصص لأصحاب الرقيق(٣٣).

وعندما تولي عبد الملك بن مروان الخلافة ثار عليه عمرو بن سعيد واستولي علي دمشق وتحصن بها ولكن عبد الملك بن مروان استطاع خداعه ، فصالحه ثم قبض عليه وقتله ، انظر ، ابن سعد ، الطبقات الكبري ، دار صادر ، بيروت ، جـ ٥ ص ٢٢٧-٢٢٨ ، ابن سلام ، المصدر السابق ، جـ ١ ص١٢٠ ، ابن حجر ، المصدر السابق ، جـ٤ ص٢٢٧-٢٢٨ ، جـ٥ ص٢٩٤.

(٣٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ص ١٤٤ .

(٣٣) مالك ، المصدرالسابق ، جـ٤ ص٢٧١ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ٦ ص ٢٥ ، السمهودي ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧١٩ ، ٧٥٠ ، أحمد أمين ، ضحي الإسلام ، جـ١ ص ٨٦ ، عبد الله السيف ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي ، الرياض ، ١٩٨٣م ، ص ٢٥٢ . ومما يثبت اتساع تجارة الرقيق الأسود في الحجاز أن عبد الله بن الزبير كان يمتلك أعدادا كبيرة من الزنج وكان له دار بمكة تسمي دار الزنج لأنه كان يمتلك فيها رقيقا من الزنج ، انظر ، الأزرقي ، اخبار مكة ، مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة، ١٩٧٨، جـ٢ ص٢٥٢. المسعودي ، مروج الذهب ، جـ٢ ص ٢٤٢ .

وساهم الخلفاء الأمويون في العمل علي زيادة أعداد الرقيق ، بما فيه رقيق السودان في المدينة المنورة ، حيث كان الرقيق يمثل جانبا لابأس به من الأعطيات التي كانوا يمنحونها لأهل المدينة ؛ فأهدي الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلي عبد الله بن الزبير مالا(٣٤)مع رقيقه الذي يعمل فيه من السودان والحمران(٣٥)، وعندما حج الخليفة الوليد ابن عبد الملك في سنة (٩٠هـ/٧١٠ م) قسم في أهل المدينة رقيقا كثيرا(٣٦) كما وهب الخليفة سليمان ابن عبد الملك لجعفر بن الزبير(٣٧)رقيقا من البيضان والسودان(٣٨).

---

(٣٤) المال في الأصل ما يملك من الذهب والفضة ثم أطلق علي كل ما يقتني ويملك من الأعيان ويختلف باختلاف المجتمع . ففي المجتمع الرعوي كان يعني الأبل والشاه وغيرها من الماشية وفي المجتمع الزراعي يعني المزرعة والبستان ، وفي المجتمع التجاري يعني عروض التجارة أو الذهب ، انظر ، المبرد، المصدر السابق ، جـ١ ص٢٢٩ ، ابن منظور، المصدر السابق، جـ١١ ص٦٣٦، السمهودي، المصدر السابق، جـ٤ ص١٢٩١، محمد الخطراوي: المدينة في العصر الجاهلي، موسسة علوم القرآن، دمشق، ص١٠٦-١٠٧.

(٣٥) التنوخي، المستجاد من فعلات الأجواد، تحقيق يوسف البستاني، دار العرب، القاهرة ، ١٩٨٥م، ص٢٢-٢٤، عبد الله السيف ، المرجع السابق، ص٢٥٢.

(٣٦) الطبري ، المصدر السابق ، جـ ٦ ص ٤٦٦ .

(٣٧) جعفر بن الزبير، كان من اخوة عبد الله بن الزبير، استعمله عبد الله واليا علي المدينة عندما بويع بالخلافة ، وقاتل جعفر مع أخيه عبد الله ضد الجيش الأموي في مكة. ورضي عنه الأمويون في كبره، انظر ابن حزم، المصدر السابق، ص١٢٢، ١٢٥، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١٥ ص٤-٩.

(٣٨) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١٥ ص٥ .

دور السودان في الحياة الاقتصادية بالمدينة :

كان لاستمرار تزايد أعداد الرقيق السودان في المدينة المنورة أثره في أن تكونت من هؤلاء السودان طبقة لها كيانها وقد ساعد علي ظهور كيان هذه الطبقة الدور الذي شاركت به في شتي مجالات الحياة في المدينة سواء في سلمها أو في حربها ، وقد ساعدهم علي هذه المشاركة الصفات التي كانوا يتصفون بها ، والتي ذكرت المصادر(٣٩) أن منها القوة البدنية، والشجاعة، وحسن الخلق، وقلة، الأذي والسخاء، ولا شك أن هذه الصفات كانت باعثا علي إقبال أهل المدينة علي استخدامهم في أنشتطهم الإقتصادية في الوقت الذي انصرف أهل المدينة فيه للجهاد، والمشاركة في الفتوحات.

ومن المعروف أن منطقة المدينة المنورة يقوم جل اقتصادها علي الزراعة فكان أهلها يمتلكون الحوائط(٤٠) والبساتين ، التي يتطلب العمل فيها جهدا شاقا ، لصعوبة الحصول علي المياه لريها في كثير من الأحيان ، وقد ساهم السودان في القيام بالأعمال الزراعية المختلفة، وخاصة ما يتصل منها باستصلاح الأرض ، وحفر الآبار

---

(٣٩) الجاحظ ، المصدر السابق ، ص ١٩٥ - ١٩٧ ، ابن الجوزي ، تنوير الغبش في فضل السودان والحبش ، مخطوط بمعهد مخطوطات الجامعة العربية رقم ١٥٢٣ تاريخ ، ص ١٠ .

(٤٠) الحوائط : جمع حائط ، والحائط هو البستان من النخل ، وكان أهل المدينة يطلقون علي بساتينهم الحوائط ، انظر ، ابن منظور ، المصدر السابق ، جـ٧ ص ٢٨٠ ، ابن حجر ، المصدر السابق ، جـ٧ ، ص ٢٧٦. السمهودي، المصدر السابق جـ٤ ص١٢٩١ ، البيهقي ، المصدر السابق، ص٢٣٠.

والعيون للحصول علي مياة الري(٤١)، وكان يطلق علي من يعمل منهم في الزراعة (رقيق الحوائط)(٤٢).

ومن الحرف التي شاع استعمال الرقيق السودان فيها بصورة كبيرة حرفة الرعي ، حيث قام الرجال والنساء منهم بالخروج مع قطعان الماشية المملوكة لأسيادهم لرعيها خارج المدينة(٤٣).

وساهم السودان منذ العصر الجاهلي بالعمل في العديد من الصناعات التي قامت بالمدينة(٤٤)وزادت مساهماتهم بصورة واضحة بعد دخول الرسول (صلي الله عليه وسلم) الي المدينة، حيث هاجر اليها أعداد من عبيد السودان ممن كانوا يعملون بالصناعات في مكة، فيذكر صاحب الأغاني أن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي كان يملك عددا كبيرا من العبيد الأحباش « يتصرفون في جميع المهن »(٤٥)،

---

(٤١) وكان عمر بن الخطاب يكره استخدام الرقيق بكثرة في أعمال أهل المدينة، ولكن أهل المدينة كانوا يبررون استخدام الرقيق بأن عملهم شديد لا يستقيم الا بالرجال الأقوياء من الرقيق، انظر، ابن شبه ، المصدر السابق، جـ٢ ص٨٨٩، مالك ، المصدر السابق، جـ٧ ص١٤٨، الفيروزبادي، المصدر السابق، ص٢٩٠ ، السمهودي ، المصدر السابق ، جـ٤ ص١٢٧٠.

(٤٢) مالك ، المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٢ ، ٦ .

(٤٣) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ص ٤١ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٩ ، ابن الأثير، أسد الغابة ، جـ١ ص ٩٢ ، السمهودي ، المصدر السابق ، جـ٤ ص ١٢٢٥، أبو نعيم ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٠٠ .

(٤٤) أحمد ابراهيم الشريف ، المرجع السابق ، ص ٣٩٨ - ٤٠٢ .

(٤٥) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ص ٦٥ .

فعمل السودان في صناعة الألبسة كالنسيج والصباغة والحياكة(٤٦) ، وعملوا في صناعة الخفاف(٤٧)، وعملوا في صناعة الأسلحة ، كالنبال(٤٨) والقسي(٤٩)، والسيوف(٥٠)، كما عملوا في النجارة(٥١)، والصباغة(٥٢).

وقام العبيد السودان بدور كبير في مهنة التجارة ، فعملوا في المحال التجارية التي امتلكها ساداتهم في السوق ، وزاولوا فيها البيع والشراء وأصبحوا هم وغيرهم من الرقيق قوام هذه المهنة ، حتي ان ابن شبه(٥٣) يشير إلي ملاحظة الخليفة عمر بن الخطاب إلي أن جل أهل السوق بالمدينة كانوا من العبيد والموالي وتحذير الخليفة من اعتماد أهل المدينة عليهم في تجارتهم .

---

(٤٦) الأصفهاني، الأغاني جـ٥ ص٤٢٧، ابن سعد، المصدر السابق ، جـ٥ ص٤٢٧ ، مالك ، المصدر السابق ، جـ ٦ ص ١٥٣ .

(٤٧) ابن حجر ، المصدر السابق جـ ٦ ص ٦٨١ .

(٤٨) النبال جمع نبل ، ويرمي به السهام ، انظر ، ابراهيم مصطفي وآخرون ، المعجم الوسيط؛ دار أخبار التراث العربي، بيروت ، جـ٢ ص٩٠٥.

(٤٩) القسي جمع قوس ، وتكون علي هيئة الهلال ويرمي بها السهام ، انظر ، ابراهيم مصطفي ، المعجم الوسيط ، جـ ٢ ص ٧٧٢ .

(٥٠) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١ ص٤١ ، ٢٢٢ ، ابن حجر ، المصدر السابق ، جـ ٦ ص ٦٤٣.

(٥١) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، جـ٢ ص ٦٥ .

(٥٢) ابن حجر ، المصدر السابق جـ ٧ ص ١٤٨ .

(٥٣) ابن شبه ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٤٦ - ٧٤٧ .

وكان بامكان العبد أخذ الاذن من سيده لمزاولة التجارة علي مسئوليته ، مقابل أن يدفع لسيده جزءا من الأرباح التي يحصل عليها ، وسمح لهؤلاء العبيد المأذونون في التجارة بالمشاركة في الشركات التي شاع تأسيسها في المدينة واطلق عليها شركات المفاوضة كأعضاء متساويين مع غيرهم من الأحرار (٥٤).

وبالاضافة إلي ما سبق شارك السودان في القيام بالأعمال التي كانت تتطلب قوة عضلية وبدنية كبيرة وخاصة تلك التي يأنف العربي الاشتغال بها فعمل بعضهم في السقاية ، أي نقل المياه للمنازل مقابل أجر، وقام بعضهم بنقل الأحمال في الأسواق(٥٥)، وقام البعض الآخر بحمل الناس علي الأبل ونقلهم من المدينة إلي بلاد أخري(٥٦)، ومارس البعض مهنة الحجامة(٥٧)، وقامت بعض الجواري بالعمل في السقاية فكن يقمن بجلب الماء من الركي لسقي الناس(٥٨)، وكان

---

(٥٤) انظر. مالك، المصدر السابق، جـ٤ ص٤٢١،٣٨٩، جـ٥، ص٧٠، ٢٤٢-٢٤٣ ، جـ٦ ص١٦١،١٥٢، عبد الله السيف، المرجع السابق، ص٢٥٧.

(٥٥) مالك ، المصدر السابق ، جـ٤ ص ٤٢٥ .

(٥٦) مالك ، المصدر نفسه ، جـ ٤ ص ٤٦٣ وما بعدها .

(٥٧) ابن حجر ، المصدر السابق ، جـ٦ ص٤١٥ ، ٦٨٢ ، الجاحظ ، المصدر السابق ، ص١٨١، والحجامة: هي امتصاص الدم بالمحجم والمحجم يطلق علي الآلة التي يجمع فيها دم الحجامة بالمص . انظر ابن منظور ، المصدر السابق ، جـ١٢ ص١١٧ ، ابراهيم مصطفي ، المعجم الوسيط ، جـ١ ص١٥٨.

(٥٨) مالك ، المصدر السابق ، جـ٢ ص١٩٧ ، ٢٠٠ ، والركي أو الركايا : جمع ركية وهي البئر تحفر ، انظر ، ابن منظور ، المصدر السابق جـ١٤ ص ٢٣٤ ، ابراهيم مصطفي ، المعجم الوسيط ، جـ١ ص٣٧٢.

للسيد الذي يملك هؤلاء العبيـد الذيـن يعملون كأجراء أن يأخذ منهم خرجا يعد بمثابة نسبة من أرباحهم(٥٩).

وقام العبيد السودان من النساء والرجال بأعمال الخدمة الشاقة في منازل أسيادهم كطحن الدقيق وعجنه ، ونقل الماء ، والاحتطاب وغير ذلك من الخدمات المنزلية الشاقة(٦٠) .

تأثير السودان في الحياة الاجتماعية لأهل المدينة :

أما فى مجال الحياة الاجتماعية ، فليس هناك شك في أن السودان تركوا في مجتمع المدينـة المنـورة أثرا ليس إلي انكاره من سبيل ، فقد عاش السودان في المدينة بعناصرهم الثلاثة من نوبة ، وأحباش ، وزنج ، وقد جاء هؤلاء من أوطان أفريقية لها ممالكها وحضاراتها القديمة ، وكان بعضهم من علية القوم في بلادهم قبل أن يقعوا في الرق(٦١).

---

(٥٩) مالك ، المصدر السابق ، جـ٤ ص ٢٨٩-٤٣١-٤٣٢ .

(٦٠) مالك ، المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ابن حجر ، المصدر السابق ، جـ٨ ص ٧٥ .

(٦١) تروي المصادر ان بعض هؤلاء السودان كانوا ينتسبون للطبقة الحاكمة فكانت أم أبرهة الحبشي أو أبرهة الحميري أحد رجال الأحباش في المدينة بنتا لأبرهة الأشرم الذي غزا الكعبة في الجاهلية ، وكان لعلي بن أبي طالب عبد حبشي يسمي أبا نيزر أشتراه من تاجر بمكة ، وأعتقه عندما علم بأنه أبنا للنجاشي ، وبعد أن مات النجاشـي جاء لأبي نيزر وفد من الحبشـة ليملكـوه عليهـم ، ولكنـه رفض ، واستـمر يعمـل لعلـي في أرضـه فـي ينبع، انظر، الفيروزبادي ، المصـدر السـابق ص٢٩٠، السمهودي، المصدر السـابق ، جـ٤ ص١٢٧١ ، ابن حجر ، المصدر السابق، جـ١ ص٢١-٢٢ .

ويشير المسعودي(٦٢) لحضارات البلاد التي أتي منها رقيق السودان فيقول عن النوبة : « اتسعت مساكن النوبة علي شاطيء النيل مصعده ، ولحقوا بقريب من أعاليه ، وبنوا دار مملكة وهي مدينة عظيمة تدعي دنقلة » ، وعن الحبشة يقول : « وللحبشة مدن كثيرة وعمائر واسعة يتصل ملك النجاشي بالبحر الحبشي ولهم ساحل فيه مدن كثيرة » ، وتشير المصادر(٦٣) إلي مدن ساحل شرق افريقيا ، وماكان فيها من حضارات زاهرة ساهم في بنائها العرب والمسلمون الذين هاجروا إليها واستقروا بها ، ولا شك أن هؤلاء السودان كانت لديهم أنماط من الحضارة في بلادهم تختلف عما كان لدي أهل المدينة ، فنقلوها معهم وأثروا بها فيهم ، وقد ساعد السودان علي ذلك امتزاجهم رجالا ونساء بأهل المدينة ، ومعايشتهم لهم داخل منازلهم وخارجها ، فقد أقبل الناس - كما ذكرنا - علي استعمال النساء منهن للخدمة في المنازل ، هذا فضلا عن أن بعض الرجال اتخذن من الاماء السود سراري أنجبن لهم الأبناء، وكان السائد قبل الاسلام ألا يلحق الأب بنفسه ابنه من أمته السوداء إلا تحت ظروف قاهرة ، كقيامه بعمل بطولي لقبيلته(٦٤).

---

(٦٢) السمهودي ، مروج الذهب ، جـ ٢ ص ١٧ ، ١٨ - ١٩ .

(٦٣) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ٢ ص ٦، ١٥ ، ياقوت ، المصدر السابق ، جـ٣ ص ٢٥٤ ، جـ٥ ص ٢٢ ، ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، وعن ممالك ومدن ساحل شرق افريقيا ، انظر ، محمود محمد الحويري ، المرجع السابق ، ص ٢٤ ، ٤٤ ، ٧٦ ، ١٢٠ ، ١٢٦ .

(٦٤) وجد في العصر الجاهلي عدد من أولاد الاماء السود ممن لم

-

ولكن هذا الوضع تغير بعد الإسلام ، فالإسلام نادي بالمساواة بين المسلمين دون النظر لأصولهم أو ألوانهم ، وأوصي بحسن معاملة الرقيق(٦٥) ، فأصبح من حق الأمة التي تنجب ولدا أن تصبح حرة إذا مات عنها سيدها، كما سوي بين ابن الأمة وابن الحرة في الميراث(٦٦)، وكان من أثر ذلك أن أخذ أبناء الاماء مكانتهم في المجتمع ، وتولوا المناصب دون التأثر بجنس امهاتهم ، وقد سمي ابن حبيب(٦٧) عددا كبيرا ممن كانت امهاتهم حبشيات ،

= يلحقهم أباؤهم بهم للونهم الأسود ، وكانوا يشتهرون بالشجاعة في قتال الأعداء ، وأحسن بعضهم قول الشعر وذاع صيته وكان يطلق عليهم (أغربة العرب) لسوادهم ، كان منهم عنترة بن شداد ، وخفاف بن ندبه ، والسليك بن السلكة ، وتأبط شرا والشنفري ، انظر، الجاحظ ، المصدر السابق، ص١٩٢، المبرد ، المصدر السابق، جـ١ ص٢١٠، جـ٢ ص١٦٧، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، حققه مفيد قميحة ، دارالكتب العلمية، بيروت، ص١٥٩، ١٧٣، وانظر، The Ency, op, cit,. p. 25.

(٦٥) انظر سورة الحجرات آية ١٣ ، سورة النساء آية ٣٦ ، سورة التوبة آية ٢٢ ، جاء في خطبة الرسول (صلي الله عليه وسلم) في حجة الوداع ماأوصي به بالرقيق خيرا فقال « أرقاءكم ارقاءكم ، اطعموهم مما تأكلون، وأكسوهم مما تلبسون ، وان جاءوا بذنب لاتريدون أن تغفروه ، فبيعوا عباد الله ولا تعذبوهم » انظر، ابن سعد، المصدر السابق جـ٢ ص١٨٥.

(٦٦) أبو نعيم ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٦٧ - ٢٦٨ ، ابن شبة، المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٢٢ - ٧٢١ .

(٦٧) ذكر منهم ابن حبيب عددا كبيرا كان منهم علي سبيل المثال صفوان بن أمية بن خلف الجحمي ، وأسامة بن زيد ، عبد الله بن قيس بن عبد الله بن الزبير بن العوام، انظر، ابن حبيب، المصدر السابق، ص ٢٠٦-٢٠٩.

كان منهم علي سبيل المثال الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة(٦٨). ولا شك أن وجود نساء السودان في منازل أهل المدينة سواء كن خادمات أو زوجات كان له أثره في تربية الأطفال ، وخاصة الحبشيات منهن ، اذ وصفت الحبشيات بأنهن كن قويات الخلق موضعا للثقة ، أهلا للاعتماد عليهن(٦٩) . كما أن وجود نساء السودان في بيوت أهل المدينة كان مدعاة لنقل بعض العادات والتقاليد وأنماط من الألبسة والأطعمة(٧٠) .

أما الرجال من السودان فكانوا يعملون - كما ذكرنا - خدما في البيوت ، أو عمالا في كثير من نواحي الحياة الاقتصادية والعملية ، ولا شك أن اختلاطهم بأهل المدينة في منازلهم ، وفي مزارعهم،

---

(٦٨) الحارث كان ، أخا للشاعر المشهور عمر بن أبي ربيعة ، وكانت أمه حبشية، وولد بأرض الحبشة اثناء هجرة المسلمين إليها، وكان صالحا متدينا خيرا عفيفا ، وسيدا من سادات قريش، شارك في القادسية واستعمله عبد الله بن الزبير واليا علي البصرة. انظر الأصفهاني، الأغاني، جـ١ ص٦٦-٦٧، ابن حزم، المصدر السابق، ص٣٩١ ، ابن حجر ، المصدر السابق، جـ٢ ص١٩٥-١٩٦.

(٦٩) عن صفات ومميزات نساء السودان انظر ، الجاحظ ، المصدر السابق ، ص٢١٢-٢١٥ ، آدم متز ، المرجع السابق ، جـ١ ص٢٠٢-٢٠٥ ، نقلها عن رسالة ابن بطلان ، رسالة جامعة لفنون نافعة في شري الرقيق وتقليب العبيد ، مخطوط رقم ٤٩٧٩ ، مكتبة برلين الأهلية .

(٧٠) عن تأثير الرقيق في مجتمع المدينة ، انظر، محمد حسن شراب، المدينة في العصر الأموي مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٩٨٤، ص٢٨٠-٢٨١، عبد الله السيف ، المرجع السابق ، ص٢٥٩-٢٦٢.

وفي أسواقهم ، أثر في طريقة تناول أهل المدينة لهذه الأعمال، ورغم أن المصادر المتداولة لم تهتم بذكر الكثير من هذه التأثيرات إلا أنها أشارت إلي بعض التأثيرات التي لها أهميتها إذا ما استعملناها في القياس لاستنتاج تأثير السودان في هذه الناحية من حياة أهل المدينة، فأشارت المصادر إلي تأثير السودان في طرق اللهو والتسلية في المدينة ؛ فقد عرف عن السودان اتقانهم اللعب بالسلاح وحبهم للمصارعة والسباق، فنقلوا للمجتمع في المدينة هذا النوع من التسلية، فكانوا يقومون ببعض الألعاب الاستعراضية مستعملين فيها الأسلحة في المناسبات والأعياد ، وقد ورد في الأحاديث ما يشير إلي ذلك ، فيروي أبو داود(٧١) : «لما قدم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لعبت الحبشة لقدومه فرحا بذلك ، لعبت بحرابهم» وروي الامام ابن حنبل(٧٢) عن عائشة قالت: «لعبت الحبشة عند النبي صلي الله عليه وسلم في المسجد، فجئت أنظر فجعل يطاطيء لي منكبه لأنظر اليهم».

وكان بالمدينة ميدان يسمي ميدان السبق كان يقام عنده سباق الجري منذ صدر الاسلام(٧٣). ومن المرجح اشتراك السودان في هذه السباقات التي تتطلب قوة بدنية توفرت لديهم .

---

(٧١) أبو داود، سنن ابي داود، دار احياء التراث، حمص، جـ٥ ص٢٢١. ويروي ابن الجوزي عددا من الأحاديث النبوية يفهم منها قيام النساء الحبشيات كذلك باللعب مع الفتيات الصغيرات. انظر، ابن الجوزي، المصدر السابق، ص٢٠.

(٧٢) أبن حنبل ، مسند الامام أحمد بن حنبل ، دار الفكر العربي ، القاهرة، جـ٦ ص٨٢.

(٧٣) محمد حسن شراب ، المرجع السابق ، ص ٢٩٦ .

ومارس السودان أيضا لعبة المصارعة ، وقد تأثر أهل المدينة بهذه المصارعة حتي أنهم شاركوا السودان في لعبها، فيروي صاحب الأغاني(٧٤) أن الشاعر هلال بن الأسعر(٧٥) كان فارسا قويا ، وفي إحدي زياراته للمدينة طلب منه الوالي الأموي أن يصارع عبدا استطاع التغلب علي كل من صارعه من أقوياء العرب في المدينة ، فصارع هلال بن الأسعر العبد حتي وقع هذا العبد مغشيا عليه ، فسر الأمير وأمر لهلال بن الأسعر بجائزة وكسوة .

وكذلك تأثر أهل المدينة بما رأوه لدي الأحباش من بعض الفنون الحركية فقلدوها ، فيروي أن جعفر بن أبي طالب(٧٦) عندما عاد من هجرته للحبشة كان يحجل حول الرسول (صلى الله عليه وسلم) فلما سأله الرسول (صلى الله عليه وسلم) عما يفعل قال له : شيء رأيت الحبشة يصنعونه بملوكهم(٧٧) .

---

(٧٤) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ٣ ص ٥٦ - ٥٨ .

(٧٥) هلال بن الأسعر بن خالد بن الأرمم ، شاعر اسلامي من شعراء الدولة الأموية وأدرك الدولة العباسية. انظر الأصفهاني ، الأغاني، جـ٣ ص٥٢.

(٧٦) جعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) هاجر إلي الحبشة واتصل بالنجاشي. وعاد للمدينة بعد هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) اليها ووجهه الرسول (صلى الله عليه وسلم) علي رأس جيش إلي مؤتة لمقاتلة الروم، واستشهد بها ومن أشهر أبنائه عبد الله بن جعفر. انظر، الزبيري، نسب قريش ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف، القاهرة، ص٨٠-٨١ .

(٧٧) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ص ٢٣ . والحجل هو الرقص علي رجل واحدة .

ولم يقف تأثيرالسودان عند حد المصارعة والألعاب الاستعراضية ولكن كان لهم تأثيرهم الواضح في مجال الغناء ؛ فقد شاع عن السودان حبهم للغناء والطرب والضرب علي الدفوف(٧٨) ، وساعدهم علي ذلك جمال أصواتهم فكان لبلال بن رباح صوت جميل رفع به الآذان للرسول (صلي الله عليه وسلم) (٧٩) وكان للرسول (صلي الله عليه وسلم) غلام أسود يسمي أنجشه ، يحدو له ، وكان حسن الصوت بالحداء ، وكان يخرج مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) في سفره ليسوق الابل للنساء ، وكانت الابل تسرع في سيرها عندما تسمع حداءه حتي إن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال له: «يا أنجشه رويدك سوقك بالقوارير»(٨٠) .

انتشر الغناء في المدينة حتي أصبحت في العصر الأموي أهم وأشهر مراكز الغناء ، وكان وجود الرقيق فيها بكثرة من أهم عوامل تقدمها في مجال الغناء(٨١) ، وقد أشار صاحب الأغاني لعدد

---

(٧٨) الجاحظ ، المصدر السابق ، ص ١٩٥ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١ ص٢٣٩ ، آدم متز ، المرجع السابق ، جـ١ ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٧٩) بلال بن رباح كان عبدا لأمية بن خلف فعذبه علي اسلامه ، فاشتراه ابو بكر الصديق وأعتقه ، وأذن للرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده لأبي بكر ثم امتنع بعد ذلك عن الآذان وخرج للجهاد ومات بالشام ، انظر ، ابن حجر ، المصدر السابق ، جـ١ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٨٠) ابن الاثير، أسد الغابة، جـ١ ص١٤٤، ابن حجر، المصدر السابق، جـ١ ص١١٩-١٢٠، وقد شبه النساء بالقوارير الزجاجية لضعف عزائمهن .

(٨١) المبرد، المصدر السابق، جـ١ ص٢٩٠-٢٩١، البيهقي، المصدر السابق، ص١٦٦-١٦٨ ، شوقي ضيف ، الشعر والغناء في المدينة ومكة ، ص٤٥-٤٧.

من السودان كان لهم دور كبير في انتشارالغناء وتطوره في المدينة ، فكان منهم طويس(٨٢)، وابن مسجح(٨٣) ، ومعبد(٨٤) .

تأثير السودان في الحياة الأدبية بالمدينة :

أما في مجال اللغة والأدب ، فكان للسودان تأثيرهم أيضا ؛ ووضح هذا التأثير في اللغة العربية منذ القدم ، فدخلت بعض الألفاظ الحبشية في اللغة العربية واستعملها العرب حتي غدت متداولة ومفهومة لديهم ، وتشير المصادر(٨٥) إلي بعض هذه الكلمات الحبشية التي نزلت في القرآن الكريم ، والتي من شأنها أن تدل علي تأثر العرب بالتعامل مع عبيدهم من الأحباش ، وكان من أمثلتها قوله

---

(٨٢) كان طويس مولي لبني مخزوم وكان أول من غني بالمدينة باللغة العربية ، انظر ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ٣ ص٢٧، البيهقي ، المصدرالسابق، ص٤١٤.

(٨٣) هو عثمان بن سعيد بن مسجح ولد بمكة وكان أسودا مولي لبني مخزوم وكان أول من نقل غناء الفرس إلي العرب ، فقد سمع البنائين الفرس الذين أتي بهم معاوية لبناء داره يتغنون فاستحسن ألحانهم ونقلها إلي الشعر العربي ، وكان يأتي للمدينة ويقيم بها، ويتصل بالمغنين بها. انظر، الأصفهاني، الأغاني، جـ٣ ص٢٧٦-٢٨٤، شوقي ضيف، الشعر والغناء في مكة والمدينة، ص١٩٥-١٩٦.

(٨٤) معبد بن وهب مولي بني قطن كان أبوه أسود غني في أول الدولة الأموية وأدرك دولة بني العباس ، وكان من أحسن الناس غناء وأجودهم صنعة ، وأحسنهم خلقا ، وهو فحل المغنيين وإمام أهل المدينة في الغناء ، انظر الأصفهاني، الأغاني ، جـ١ ص٢٦-٢٨ .

(٨٥) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٠، جـ١ ص٦، ابن الجوزي، المصدر السابق، ص٢٠-٢١ .

تعالى: (يؤتكم كفلين من رحمته)(٨٦)، والكفلان: ضعفان من الأجر بلسان الحبشة ، وقوله تعالي : (إن ناشئة الليل)(٨٧)، وناشئة : بلسان الحبشة إذا قام الرجل من الليل قالوا نشأ ، وقوله تعالى : (يا جبال أوبي معه)(٨٨) وأوبي بلسان الحبشة : سبحي ، وقوله تعالى : (فرت من قسورة)(٨٩) وقسورة بلسان الحبشة : الأسد .

أما في مجال الشعر فقد نبغ من مولدي السودان شعراء عدة كان لشعرهم أثره في الحياة الأدبية للجزيرة العربية قبل الاسلام(٩٠)، أما بعد الاسلام فاشتهر في المدينة منهم: سحيم(٩١)، ونصيب(٩٢)،

---

(٨٦) سورة الحديد آية (٢٨) .

(٨٧) سورة المزمل آية (٦) .

(٨٨) سورة سبأ آية (١٠) .

(٨٩) سورة المدثر آية (٥١) .

(٩٠) عن الشعراء من أبناء الإماء السود ، انظر ، الجاحظ ، المصدر السابق ، ص١٩٢ ، المبرد ، المصدر السابق ، جـ١ ص٣١٠ ، جـ٢ ص ١٦٧ ، ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص ١٥٩ ، ١٧٣ .

The Ency, op, cit,. p. 25.

(٩١) كان سحيم عبدا أسودا لبني الحسحاس وكان حبشيا مغلظا قبيحا ، أتقن الشعر ، وهو شاعر مشهور ادرك الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وقد تمثل النبي (صلى الله عليه وسلم) بشيء من شعره ، وكان شجاعا ، فقد أسر أحد اليهود إمرأة من بني الحسحاس وسجنها في حصن ، فدعته غيرته ، فتسور الحصن وقتل اليهودي وخلصها ، انظر ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص ١٩٦ ، ابن حجر ، المصدر السابق ، جـ٢ ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٩٢) نصيب بن رباح كان عبدا أسودا لرجل من وادي القري أبويه نوبيين وكان شاعرا فحلا فصيحا ، فكاتب علي نفسه ، ثم ذهب إلى

والحيقطان(٩٣) .

وقد أشار الجاحظ(٩٤) إلي عدد من شعراء السودان الذين اقتحموا بشعرهم معترك العصبيات التي كانت تنبعث في الجماعة الاسلامية وتذهب المذاهـب المختلفة(٩٥)، وكان اشـتراك شـعراء

عبد العزيز بن مروان الأموي في مصر فمدحه وقال فيه شعرا ، فوصله ، واشتري ولاءه ثم عاد للمدينة وعاش بها ، والتقي بمعاصريه من الشعراء المشهورين بالمدينة مثل عمر بن أبي ربيعة ، والأحوص ، وكثير عزة ، وطلب منه الخليفة عبد الملك بن مروان أن ينادمه فاعتذر ، ولكنه جالس سليمان بن عبد الملك قبل توليه الخلافة ، انظر، ابن قتية، المصدر السابق، ص١٩٧ ، المبرد، المصدر السابق، جـ١ ص٢٢٢-٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٩، ابن سلام ، المصدر السابق ، جـ٢ ص٦٤٨، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١ ص٣٢٤-٣٧٧ ، ياقوت ، معجم الأدباء ، دار الفكر، بيروت ، ١٩٨٠م ، جـ١٩ ص٢٢٨ .

(٩٣) الحيقطان، كان خطيبا لا يباري وشاعرا فحلا، وكان فاضلا في عقله وهمته، وله قصيده مشهورة يهجو فيها قريش ويتعصب للسود، انظر، الجاحظ، فخر السودان علي البيضان ، ص١٨٠-١٨٢. الجاحظ، البيان والتبين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، جـ١ ص١٢٠،٢٢٨.

(٩٤) كان الجاحظ أول من أهتم بطائفة السودان، وأدرك خطرها فسجل أخبارها، انظر الجاحظ، فخر السودان علي البيضان، ص١٨٣ وما بعدها، طه الحاجري ، الجاحظ حياته وآثاره، دار المعارف، القاهرة، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٩٥) أطلق علي الحركة العصبية التي اندلعت بين عناصر الدولة الاسلامية في أواخر العصر الأموي وأمتدت للعصر العباسـي الحركة الشعوبية

السودان في هذه الحركة تعصبا لجنسهم ، ودفاعا عن شرف أصلهم بسبب نظرة الازدراء التي ظهرت من بعض العرب لهم ، وكان العرب مع تقدم العهد الاسلامي واختلاطهم بالعجم - رغم المساواة التي يدعو إليها الإسلام - قد تأثروا بنظرة الازدراء التي كان ينظر بها الأعاجم لسود البشرة ، ويعتبرونهم أقل منهم في المنزلة ، وقد وضح تأثر العرب بنظرة الازدراء هذه في انصرافهم عن الاتصال بنساء السودان ، وفضلوا عليهن غيرهن من البيضاوات من النساء الفارسيات والروميات ، والتركيات ، مما أغضب السودان(٩٦) .

وانعكست نظرة الازدراء التي نظر بها العرب للسودان علي الشعر الذي ألف في العصر الأموي ، فيقول جرير(٩٧)

-

حيث استمرت حرب شعواء بين الأدباء والشعراء والمفكرين العرب والفرس كل منهم يحاول النيل من الآخر واظهار عيوبه ومثالبه واظهار فضله هو وكرم أصله وانعكست هذه الحركة علي الشعر والنثر، الذي ألف في تلك الفترة. انظر، الجاحظ ، البيان والتبين ، جـ١ ص١٤٥، ٢٨٣-٢٨٤، المسعودي، مروج الذهب ، جـ٢ ص٥٤-٥٥، أحمد أمين، ضحي الاسلام، جـ١ ص٤٩-٧٨.

(٩٦) الجاحظ ، فخر السودان علي البيضان ، ص ١٩٧ ، جواد علي ، المرجع السابق ، جـ٤ ص ٣١٢ .

(٩٧) هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي ، من شعراء العصر الأموي وكان من فحول شعراء الاسلام ، ويشبه بالأعشي من شعراء الجاهلية ، وكان من أشد الناس هجاء وكان بينه وبين شعراء عصره مهاجاة كالفرزدق ، والأخطل ، انظر ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠-٢٣٤ .

في هجائه للأخطل(٩٨) وقومه من بني تغلب :

لاتطلبن خؤولة من تغلب فالزنج أكرم منهم أخوالا

ويؤخذ هذا البيت مثالا على شدة هجاء جرير للأخطل واقذاعه(٩٩).

وقال حكيم بن عياش(١٠٠) في هجائه لبني أسد :

لاتفخرن بخال من بني أسد فان أكرم منهاالزنج والنوب١٠١

ولم تقف نظرة الازدراء لدي العرب عند حد النظر لنسب السودان ، ولكنها تعدت ذلك إلي الاقلال من شأن شعرائهم فعندما مدح نصيب سليمان بن عبد الملك في حضرة الفرزدق(١٠٢).

(٩٨) الأخطل ، هو غياث بن غوث من بني تغلب ، وهو من فحول الشعراء في العصر الأموي ويشبه بالنابغة الذبياني من شعراء الجاهلية ، وقد مدح بني أمية حتي آخر حياته ويقدمه البعض علي جرير والفرزدق، انظر ، ابن قتيبة ، المصدر السابق ص ٢٤٢-٢٤٩ .

(٩٩) المبرد ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٢٤ .

(١٠٠) حكيم بن عياش من شعراء العصر الأموي كان يمدح الأمويين وعاش بدمشق ثم انتقل إلي الكوفة ، وكان يهجو العلويين ، انظر ، ياقوت ، معجم الأدباء ، جـ ١٠ ص ٢٤٧-٢٤٩ .

(١٠١) الجاحظ ، فخر السودان علي البيضان ، ص١٩٩ .

(١٠٢) هو أبو همام بن غالب بن صعصعة، ولقب بالفرزدق لغلظه وقصره شبه بالفرزدقة التي تشربها النساء ، وهو من فحول شعراء العصر الأموي، وعاش بالمدينة فترة في كنف واليها سعيد بن العاص وكان بينه وبين جرير أهاجي مشهورة ، انظر، ابن قتيبة، المصدر السابق، ص٢٢٥-٢٤١، ياقوت معجم الأدباء ، جـ ٩١ ص٢٩٧ .

أمر له سليمان بجائزة ، ولم يأمر للفرزدق ؛ فغضب الفرزدق وعير نصيب بلونه الأسود فقال :

وخـــير الشـعر أكرمـــه رجالا   وشر الشعر ما قال العبيـد(١٠٣)

وعندما سخر جرير من سواد لون الحيقطان في شعره رد عليه الحيقطان في قصيدة طويلة صب فيها غضبه علي العرب وذكر فيها دور الأحباش في الجزيرة العربية وكيف أنهم ملكوا اليمن والحجاز ، ولم يملكهم العرب ، وذكره فيها بفرار قريش أمام جند أبرهة ، ثم ذكر فضل النجاشي على العرب عند هجرتهم للحبشة(١٠٤) .

وعندما قال حكيم بن عياش الكلبي .

لاتفخـرن بخـــال من بني أسد   فان أكرم منهـــا الزنج والنـــوب

(١٠٣) ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص١٩٧، الأصفهاني، الأغاني جـ١ ص٢٢٨.

(١٠٤) يقول الحيقطان في بعض أبيات هذه القصيدة :

وإن ســـواد اللون ليس بضـــائري   إذا كنت يوم الروع بالسـيف أخطـر
فإن كنت تبغي الفخر في غير كنهه   فراهط النجاشي منك في الناس أفخر

وفيها يقول عن السودان أيضا :

ولقمـــان منهم وابنـــه وابـن أمـه   وأبـرهـــة الملك الذي ليـس ينكـــر
غزاكم أبو يكســـوم في أم داركم   وأنتم كقبض الرمل أو هـــو اكـــثر

ويقصد بأبي يكسوم (أبرهة) وكانت هذه القصيدة من اكثر القصائد التي قيلت في العصبية حتي إن اليمانية تحتج بها علي قريش ومضر، ويحتج بها العجم والحبش علي العرب ، انظر الجاحظ ، فخر السودان علي البيضان، ص١٨٢ - ١٨٩.

رد عليه احد شعراء الأحباش وهو عكيم الحبشـــي ، فقـــال :

ويوم غمدان كنا الأسد قد علموا   ويوم يثرب(١٠٥) كنا فحلتاالعرب
وليلة الفيــل إذ طارت قلوبهم   وكلهــم هارب موف علــي قتــب

ولا شك أن اشتراك شعراء السودان في شعر الفخر بالعصبية . وان كان لهذه الحركة سلبياتها - إلا أن لها ايجابياتها أيضا التي ظهرت في اشتراكهم في إثراء الحياة الأدبية في الدولة الاسلامية عامة ، ولكن يجدر الاشارة هنا إلي أن فخر شعراء السودان وتعصبهم لجنسهم ضد العرب كان موجها لشعراء ليسوا من أهل المدينة ، ولم تكن المدينة أبدا ساحة من ساحات التعصب أو تبادل شعر العصبية .

دور السودان في الجهاد والحياة الحربية فيالمدينة:

ومن المعروف أن السودان ساهموا فى الدعوة الاسلامية منذ بداية أمرها، فسارعوا إلي اعتناق الاسلام، ولاقوا كثيراً من العنت في سبيل ذلك، فتعرض بعضهم للتعذيب المستمر من ســاداتهم من كفــار مكة حتــي لقي بعضهــم حتفه(١٠٦)، وكــان منهم علي ســبيل المثــال

---

(١٠٥) يقصد بيوم يثرب ما ذكر من أن الجيش الأموي الذي أتي من الشام وهاجم المدينة في موقعة الحرة كان يضم فرقة من السودان ساهمت في استباحة المدينة والاعتداء علي حرمات أهلها . انظر . الجاحظ . فخر السودان علي البيضان ، ص ١٩٩ .

(١٠٦) الجاحظ ، فخر السودان علي البيضان ، ص ١٧٩ ، البلاذري أنساب الأشراف ، جـ١ ص ١٥٦ - ١٩٧ .

بلال بن رباح(١٠٧) ، وآل ياسر (١٠٨) ، وعامر بن فهيرة(١٠٩).

وكان من السـودان أيضا من تفقه في العلوم الدينيـة واشتهر بتقواه وايمانه الشديد، فبالاضافة إلى من ذكرنا كان منهم في المدينـة

---

(١٠٧) كان بلال بن رباح عبدا لأمية بن خلف فلما أسلم بلال وعلم بذلك أمية كان يخرجه وقت الظهيرة ، فيطرحه علي ظهره في بطحاء مكة ، ويضع علي صدره صخرة عظيمة ، فلا يبال ، ويردد أحد ، أحد واشتراه أبو بكر الصديق وأعتقه ، انظر ، ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفي السقا وآخرون ، القسم الأول ، ص ٢١٧-٢١٨ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ١ ص ١٨٤ - ١٩٠ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ١ ص٢٤٣ - ٢٤٥ ابن سعد ، المصدر السابق جـ٣ ص ٢٣٢ - ٢٣٩ .

(١٠٨) آل ياسر ، هم عمار بن ياسر ، وأباه ياسر ، وأخاه عبد الله ، وأمه سمية ، كانوا بعذبون ؛ فمات ياسر أثناء تعذيبه ، ورمي عبد الله فسقط ميتا ، وطعن أبو جهل سمية فقتلها، وشارك عمار في الفتوحات الاسلامية وأبلي فيها بلاء حسنا ، انظر ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ١ ص ١٥٧ - ١٦١ ، ابن هشام ، المصدر السابق، القسم الأول ص٢١٩-٢٢٠ ، ابن سعد ، المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٢٤٦ - ٢٦٤ .

(١٠٩) عامر بن فهيرة من مولدي الأسد ، عذب بسبب اسلامه ، فاشتراه أبو بكر منهم ، واعتقه، وشارك في الغزوات ، واستشهد يوم بئر معونة في سنة (٤هـ) ، قيل أن الملائكة رفعته للسماء ، انظر ، ابن هشام، المصدر السابق، القسم الأول ص٢٥٩، البلاذري، أنساب الأشراف، جـ١ ص١٩٤، ابن سعد، المصدر السابق ، جـ٣ ص٢٣٠-٢٣١

أيضا هلال الحبشي(١١٠) ، ومنهم أيـضا سعيد بن جبير(١١١) .

وكان للسودان أيضا دورهم البارز في الحياة السياسية والحربية وساعدتهم قوتهم البدنية ، وشدة شكيمتهم علي القيام بهذا الدور ، فيقول الجاحظ(١١٢) عنهم : «وهم في سوادهم اذا أقبلوا بحرابهم ورماحهم وقسيهم ، وسيوفهم ، وراياتهم ، وخيولهم ، مع سواد ألوانهم وضخمة أبدانهم ، رأيت هولا لم تر مثله ، ولم تسمع به» ولذلك فقد استخدمهم العرب في الحروب فـي العصر الجاهلي ، فكان

---

(١١٠) كان هلال الحبشي مولي للمغيرة بن شعبه ، وكان يلبس ملابس متواضعة واشتهر بتقواه وعلمه ، وقيل إن الرسول (صلي الله عليه وسلم) قال عنه إنه من أهل الجنة ، وطلب منه الدعاء له ، انظر ، ابن حجر ، المصدر السابق، جـ١ ص٥٥١ .

(١١١) سعيد بن جبير ، صاحب عبد الله بن عباس ، مولي لبني والبه بن الحارث بن ثعلبة بن أسد بن خزيمة، اشتراه سعيد بن العاص في مائة عبد، فأعتقهم جميعا فذهب إلي الكوفة ، فجعله الحجاج بن يوسف إماما ، وولاه القضاء ، وجعل القضاة لايقطعون بأمر دونه ، وجعله في جلسائه ، وأعطاه مائة ألف درهم ليفرقها في أهل الحاجة ، فلما اشترك سعيد في فتنة ابن الأشعث ، قبض عليه الحجاج وقتله في سنة (٩٤هـ / ٧١٢م) ، انظر ، المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ ، المبرد، المصدر السابق، جـ١ ص ٢٩٧ ، أبـو نعيم ، المصدر السابق ، جـ٤ ص ٢٧٢ وما بعدها .

(١١٢) الجاحظ ، فخر السودان علي البيضان ، ص ٢٠١ .

لقريـش جيش من الأحابيش(١١٣) استخدمته في الدفاع عنها فاشترك الأحابيش في محاربة المسلمين في موقعة أحد(١١٤)، وجمعت قريش الأحابيش أيضا يـوم علمـت برغبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في دخول مكة في عام الحديبية(١١٥) .

ودور الســودان في الحروب ابان الرســالة معروف حيث شـهدت مغازي الرســول (صلى الله عليه وسلم) بطولاتهم عند مشــاركتهم في حروبهـا ، كما استمرت مشــاركتهم في حمــل لـواء الاسلام بمشــاركتهم في الفتوحات الاسلاميـة ، وممـن كان لهم دور كبيـر في الحــروب التي خـاضها المســلمون جليبيــب(١١٦) ،

---

(١١٣) اختلفت الأراء حول أصل الأحابيش ، فقيل أنهم كانوا من عبيد أهل مكة من الأحباش ومن صعاليك العرب ، وقيل أنهم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، والهون بن خزيمة بن مدركة وبنوا المصطلق بن خزاعة تحالفوا بواد يقال له الأحبش بأسفل مكة ولذلك سموا الأحابيش ، انظر ابن هشام ، المصدر السابق، القسم الأول ، ص ٢٧٣ ، محمد بيومي مهران ، المـرجـع السـابـق ، ص ٤١٨ ، الزبيري ، المصدر السـابق ، ص٩ . وانظر ، The Ency, of Islam, op, cit,. p24.

(١١٤) أبن هشام ، المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٦١ .

(١١٥) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار المعرفة، بيـروت ، جـ ٧ ص ٤٥٣ .

(١١٦) جليبيب، ومعناه تصغير جلباب، وقد زوجه الرسول (صلي الله عليه وسلم) أنصارية، فلما رفضت أمها تزويجها منه نزلت فيه الآية (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضي الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخبرة عن أمرهم) سورة الأحزاب آية ٣٦، وقد أفتقده الرسول (صلى الله عليه وسلم) في احدي الغزوات فلما بحثوا عنه وجدوه بين سبعة من الكفار قتلهم ثم قتل، فشارك الرسول (صلى الله عليه وسلم) في دفنه. انظر، الجاحظ، فخر السودان علي البيضان، ص١٨١،أبن حجر، المصدر السابق ، جـ١ ص٤٩٥-٤٩٦.

وبـلال بـن ربـاح(١١٧)، وعمـار بـن يـاسـر(١١٨)، وأسـامه ابن زيـد(١١٩)، والمقـداد بـن الأسـود(١٢٠)، ووحشـي بـن

(١١٧) امتنع بلال عن الآذان بعد موت أبي بكر الصديق، وخرج غازيا، فشارك في فتوحات العراق والشام، ومات بالشام، انظر، ابن الأثير، أسد الغابة، جـ١ ص٢٤٤-٢٤٥، ابن سعد، المصدر السابق، جـ٣ ص٢٢٢-٢٣٩.

(١١٨) شارك عمار بن ياسر في غزوات الرسول (صلي الله عليه وسلم) كما شارك أيضا في حروب الردة حيث فقد احدي اذنية فيها ، انظر ، البلاذري، أنساب الأشراف ، جـ١ ص١٦١.

(١١٩) كان أسامة بن زيد ابن لمولاة الرسول وحاضنته أم أيمن الحبشية، أنجبته بعد أن زوجها الرسول (صلى الله عليه وسلم) من زيد بن حارثة مولاه، وأسامة هو حب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جعله قائدا وهو ابن ثمان عشر على جيش كان فيه عدد من كبار الصحابة لغزو الروم في جنوب بلاد الشام ولما تولى أبو بكر الخلافة كان أول ما فعله العمل علي اخراج هذا الجيش الذي تأخر خروجه لوفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعاد أسامه بعد انتصاره علي الروم إلى المدينة ، انظر ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ١ ص٧٩ ، ابن سعد ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٨٩-١٩٢.

(١٢٠) المقداد بـن الأسود ويكني أبا معبد وفي الجاهلية ، وقع بينه وبين ابن شمر خصام ، فضرب المقداد رجله بالسيف ، وهرب إلى مكة ، فتبناه الأسود ابن عبد يغوث ، فقيل له المقداد بن الأسود ، ولما ألغى الاسلام التبني قيل له المقداد بن عمرو ،وكان أول من عدا به فرسه في سبيل الاسلام وشارك في الغزوات والفتوحات ، وتوفى بالمدينة سنة (٣٢هـ/٦٥٢م) انظر، الجاحظ ، فخر السودان على البيضان ، ص١٨١، ابن سعد ، المصدر السابق جـ٢ ص١٦١،١٦٢.

حرب(١٢١)، وغيرهم(١٢٢) ويضاف إلي هؤلاء جماعة الأحباش الذين قدموا بصحبة المسلمين العائدين للمدينة بعد الهجرة ، وقد حضر هؤلاء الغزوات مع الرسول (صلي الله عليه وسلم)(١٢٣) .

ولما كانت شجاعة السودان وبلاؤهم في الحروب معروفا ، فقد قيل للرسول صلي الله عليه وسلم في يوم غزوة حنين(١٢٤)، هل لك في حبش بني المغيرة تستعين بهم ، فرفض الرسول (عليه الصلاة والسلام) ذلك العرض(١٢٥) .

---

(١٢١) وحشي بن حرب الحبشي ، وكان عبدا لطعيمة بن عدي ، شارك في موقعة أحد مع قريش وهو قاتل حمزة عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) يومها، ثم قدم علي الرسول (صلي الله عليه وسلم) مع وفد الطائف وأسلم ، وشارك في حروب الردة ، وقيل أنه قتل مسيلمة الكذاب ، وشهد اليرموك ، وعاش حتي خلافة عثمان ابن عفان ، انظر ، ابن حجر ، المصدر السابق ، جـ٦ ص ٦٠١ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ١ ص ٤٧٨ - ٤٨٥ .

(١٢٢) ابن سعد ، المصدر السابق ، جـ٣ ص ٤٨ - ٥٠ ، ابن حجر ، المصدر السابق ، جـ ٦ ص ٦٠١ .

(١٢٣) ابن حجر ، الاصابة في تمييز الصحابة ، جـ١ ص ٤٨٢،٢٣٦.

(١٢٤) سميت بغزوة حنين لوقوعها في وادي حنين بقرب الطائف ، وكانت في سنة (٨هـ) بعد فتح مكة واجتمع فيها من الكفار هوزان وثقيف يقودهم مالك بن عوف النصري لمقاتلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وجيشه الذي بلغ عدده اثني عشر الفا، وكاد المسلمون أن ينهزموا في بداية الأمر ولكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) صمد في القتال حتي عادت فلول المسلمين ، فقاتلوا معه (عليه الصلاة والسلام) وكان النصر لهم والهزيمة المنكرة للكفار، انظر، ابن هشام، المصدر السابق، القسم الثاني، ص٤٢٧-٤٩٩.

(١٢٥) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ص ٦٥ .

واستمرت مشاركات السودان في كل الممارسات الحربية التي كانت المدينة المنورة طرفا فيها؛ فشارك العبيد من السودان بجانب ساداتهم من أهل المدينة في موقعة الحرة(١٢٦)في سنة (٦٣هـ/٦٨٢م) في محاربة الجيش الأموي ، ولقى كثير منهم حتفه (١٢٧) ، وعندما استولى الخوارج علي المدينة المنورة في سنة (١٢٩هـ/٧٤٦م) قاتل العبيد من السودان بجانب سادتهم من أهل المدينة هؤلاء الخوارج حتى أخرجوهم منها(١٢٨) .

---

(١٢٦) ثار أهل المدينة وخلعوا الخليفة الأموي يزيد بن معاوية لسوء سيرته فأرسل اليهم جيشا كبيرا بقيادة مسلم بن عقبة المري في سنة (٦٣هـ/٦٨٢م) التقى مع اهل المدينة في معركة غير متكافئة . فهزم أهل المدينة ، وقتل منهم عدد كبير واستباح الجيش الأموي المدينة فتعرضت للسلب والنهب ، انظر ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، دار بيروت للطباعة، بيروت، ١٩٨٠م ، جـ٢ ص ٢٥٠-٢٥٢ ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٥ ص ٤٨٢ وما بعدها ، والبيهقي ، المصدر السابق ، ص ٨٦-٩٠ .

(١٢٧) السمهودي ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٢٦ ، ١٣١ .

(١٢٨) استطاع أبو حمزة الخارجي أن يدخل المدينة ويستولي عليها ويطرد منها الوالي الأموي عبد الواحد بن سليمان ، وأقام أبو حمزة في المدينة ثلاثة أشهر وأحسن السيرة في أهلها ولكن أهل المدينة وجدوا في معتقداته ما يخالف السنة ، فلما خرج أبو حمزة لمحاربة الجيش الأموي الذي أرسله الخليفة مروان بن محمد لمقاتلته وهزم ، رجعت فلوله إلي المدينة ، فنهض أهلها فقتلوا من الخوارج خلقا كثيرا حتي هزموهم وأخرجوهم من المدينة ، انظر ، الطبري ، المصدر السابق ، جـ٧ ص ٣٩٤-٤٠٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٤ ص٢٧٤ ، ص٣١٤-٣٥١ ، الزبيري، المصدر السابق، ص ١٢٧ ، ٢٥٠ ، ٢٧١ .

وصفوة القول أن طبقة العبيد من السودان التي عاشت في المدينة المنورة كان لها دورها الذي شاركت به في مختلف نواحي الحياة في المدينة سواء منها الاقتصادية أو الاجتماعية أو الأدبية أو الحربية ، قبل العصر العباسي ، وسوف يكون لهذه المشاركات أثرها خلال الفترة الأولى من العصر العباسي الأول حيث أخذت طبقة السودان بزمام الموقف وأشعلت ثورة عارمة ضد الحكم العباسي المتمثل في الوالي العباسي وجنده الخرسانيين .

الفصل الثاني

ثورة السودان في المدينة المنورة

مقدمات الثورة وأسبابها :

في يوم الجمعة الثالث والعشرين من ذي الحجة في عام (١٤٥هـ/٧٦٢م) اشعلت جماعات السودان بالمدينة المنورة ثورة عارمة ضد الوالي العباسي وجنده ، وعلى الرغم من أن هذه الثورة لم تستغرق أحداثها وقتا طويلا ؛ فقد بدأت وانتهت خلال يوم واحد، وقضي على آثارها في اليوم التالي ، إلا أن دراسة أحداث هذه الثورة لها أهميتها في معرفة أحوال جماعات السودان بالمدينة المنورة ، وعلاقتهم بأهلها خلال تلك الفترة من العصر العباسي الأول .

تجمع المصادر(١) علي أن السبب وراء تلك الثورة كان الاشتباكات المتكررة بين الجند العباسيين وأهل السوق بالمدينة بسبب غطرسة الجند واستبدادهم ونهبهم للبضائع من أصحابها دون دفع أثمانها ، وتحيز الوالي للجند بشكل شجع هؤلاء الجند علي الاستمرار في غيهم؛ مما أثار غضب السودان ونخوتهم ودفعهم للقيام بهذه الثورة .

---

(١) عن أحداث هذه الثورة انظر ، الزبيري ، المصدر السابق ، ص ٤٢٩-٤٣٠ ، البلاذري، أنساب الأشراف . تحقيق محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، جـ٢ ص ١٢٠-١٢١ ، وكيع، أخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت، جـ١ ص٢٠١-٢٠٢، ابن حزم، المصدر السابق.

ومع أن هذه الأحداث كانت السبب في قيام جماعات السودان بثورتهم - كما ذكرت المصادر - إلا أنها في الواقع لم تكن إلا سببا واحدا من بين أسباب أخري ، يستدعي معرفتنا لها إلقاء بعض الضوء على أحوال المدينة في الفترة السابقة علي تلك الثورة ، وبالتحديد منذ إعلان العباسيين اقامة دولتهم في سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م) .

اهتم العباسيون منذ بداية أمرهم بأحوال المدينة المنورة ، ووضعوها تحت رقابتهم ، وفي دائرة اهتمامهم ، لوجود أبناء عمومتهم من العلويين(٢) بها ، وقد نظر العباسيون إلي العلويين نظرة شك وحذر باعتبارهم المنافسين لهم ، وتوقعوا منهم الخطر

ص ١٦٩، الطبري، تارخ الرسل والملوك ، جـ٧ ص٦١٠-٦١٢ ،ابن الأثير، الكامل، جـ٥ ص١٣-١٤، ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٢ ص١٩٣-١٩٤، ابن كثير، المصدر السابق، جـ١٠ ص٩٠-٩١ .

(٢) ينتسب العلويون إلي علي بن أبي طالب ابن عم الرسول (صلي الله عليه وسلم) وزوج ابنته فاطمة الزهراء واستقر العلويون بالمدينة ، فعاد إليها الحسن بن علي بعد تنازله عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان في عام (٤١هـ/٦٦١م) وعاش فيها أبناؤه من بعده ، ويطلق عليهم الحسنيون وكذلك عاش فيها الحسينيون وهم أبناء الحسين بن علي بعد أن أعاد يزيد بن معاوية للمدينة من تبقي منهم بصحبة ابنه الوحيد علي بعد مقتل الحسين وعدد كبير من أهله في كربلاء في سنة (٦١هـ / ٦٨٠م) ، وعاش بالمدينة أيضا الأبن الثالث لعلي بن أبي طالب، وهو محمد بن الحنفية . انظر ، البلاذري ، أنساب الأشراف، جـ٢ ص٦٨، الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، تحقيق السيد أحمد صقر دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٤٩ ، ص٧٣ ، ١٢١ ، الدينوري ، الأخبار الطوال ، مكتبة المثني ، بغداد ، ص ٢٦١ ، ٣٠١.

على خلافتهم بسبب ما كان يعتقده العلويون في أنهم أصحاب الحق في خلافة المسلمين ، هذا الحق الذي دفعهم لصراع طويل مع الأمويين راح ضحيته عدد كبير من رجالهم(٣)، وفي ذات الوقت نظر العلويون للعباسيين باشمئزاز ونفور ، واعتبروا استيلاء العباسيين علي السلطة خدعة لهم واغتصابا لحقهم(٤) ؛ ذلك لأن العباسيين لم يشاركوا أبدا في الصراع الذي دار بين العلويين والأمويين

---

(٣) كان الحسين بن علي أول من خرج علي الأمويين : فرفض مبايعة يزيد بالخلافة بعد وفاة معاوية وخرج من المدينة إلي مكة ، ومنها خرج بأهله وعدد من أنصاره إلي الكوفة تلبية لدعوة أهلها الذين طلبوا منه القدوم عليهم لمبايعته بالخلافة، ولكنهم تخلوا عنه فالتقي هو ومن معه بالجيش الذي أرسله الأمويون لمحاربته في معركة غير متكافئة راح ضحيتها هو ومعظم أهل بيته ورجاله في كربلاء بالقرب من الكوفة في سنة (٦١هـ/٦٨٠م) .

وثار من العلويين ايضا زيد بن علي بن الحسن الذي ينسب اليه مذهب الزيدية ضد الخليفة هشام بن عبد الملك في الكوفة، بعد مبايعة أهلها له، لكن ثورته انتهت بالفشل، وقتل، وصلبت جثته في دمشق في سنة (١٢٢هـ/ ٧٣٩م).

وثار من العلويين كذلك يحيي بن زيد بن علي في عهد الخليفة الوليد بن يزيد في طبرستان ،ولكن حركته انتهت بالفشل وقتل في سنة (١٢٥هـ/٧٤٢م). انظر ، الأصفهاني ، مقاتل الطالبين، ص ٧٨-١١٩ ، ١٢٩-١٤٤، ١٥٢-١٥٨، الدينوري، المصدر السابق ، ص٢٤٣-٢٦١ ، ابن طباطبا ، المصدر السابق ، ص١١٣-١١٥ ، ١٣٢-١٣٣، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٧ ص١٦٠-١٧٣ ، ٢٢٨-٢٣٠ .

(٤) فاروق عمر ، بحوث في التاريخ العباسي ، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٧م ، ص٩٢ ، شاكر مصطفي ، دولة بني العباس ، وكالة المطبوعات الكويت ، جـ١ ص٢١٤ .

علي الخلافة ، ولم يحاولوا الظهور بمظهر المطالب بالخلافة، بل إن العباسيين كانوا دائما يظهرون بمظهر المشجعين للعلويين علي المطالبة بحقهم في الخلافة(٥) .

وقد أثبتت الأيام صحة توقع العباسيين ، فقد اختفي لعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(٦) ابنان هما محمد الملقب بالنفس الذكية(٧) وأخيه ابراهيم(٨)، حتي لايبايعا

---

(٥) أظهر العباس عم الرسول (صلي الله عليه وسلم) تأييده لخلافة علي بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ورغبته في مبايعته ، وكان عبد الله بن العباس من المؤيدين للحسين بن علي والناصحين له بعدم الخروج الي الكوفة حتي لا يقتل علي أيدي الأمويين ، ولم تذكر المصادر أن أحدا من العباسيين الذين استقروا في الحميمة في البلقاء بالشام أظهلا مطالبته بالخلافة أو تصدي للأمويين حتي سنة ١٣٢ هـ ، انظر الدينوري ، المصدر السابق ، ص٢٤٣-٢٤٤ ، المسعودي ، مروج الذهب جـ٢ ص٢٦٤، جـ٣ ص ٦٤-٦٥.

(٦) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، شيخ بني هاشم في عصره، ومن سادات المدينة وعبادها ، وعلمائها وله شرف وهيبة ، عمل علي إعدادا بنيه محمد وابراهيم لنيل الخلافة ، ودعي العباسيين والعلويين لمبايعة ابنه محمد بالخلافة في أواخر العهد الأموي ، وساعد ابنيه علي الأختفاء عن أنظار العباسيين بعد قيام دولتهم ، وقبض عليه المنصور وحبسه ، وظل في سجنه حتي قتل به في سنه (١٤٥ هـ/٧٦٢م) .انظر الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص١٨٩-١٨٤ ، ابن طباطبا ، المصدر السابق ، ١٦٤ - ١٦٥ .

(٧) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، سمي بصريح قريش ، فلم يدخل في نسبه غير العرب فكانت أمه وجداته عربيات ، وكان من سادات قريش وأكثر رجالها فضلا وشرفا وعلما وتفقها بكتاب الله ، ولقب بالنفس الزكية لنسكه وزهده وتقواه ، ولهذا فقد اعتقد البعض بأنه المهدي الذي ذكره الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حديثه بأنه

-

لأبي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس (١٣٢-١٣٦هـ/٧٥٠-٧٥٤م)(٩)، ولكن أبا العباس آثر أن تحل العلاقات الودية وصلة الرحم في علاقته بالعلويين في المدينة محل العداوة والشقاق ؛ فتغاضي عن اختفاء الأخوين ، واكتفي بالميثاق الذي أخذه علي أبيهما عبد الله بن الحسن بألا يفعلا ما يسوءه ، بل إنه صانع العلويين ، ووصلهم وأجزل العطاء لمن أتاه منهم زائرا ، ولعله كان يشعر بحق العلويين ومرارة الخيبة التي منوا بها فسلك معهم هذا المسلك(١٠) .

سيظهر ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا وظلما . انظر الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص ٢٣٢ ، ابن طباطبا ، المصدر السابق ، ص ١٦٥-١٦٦ ، المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص٢١١.

(٨) ابراهيم بن عبد الله ، كان يشبه أخاه في صفاته ، وكان أبوه يعده للخلافة أيضا ، ولم يبايع للعباسيين واختفى مع أخيه وسافر لعدة بلاد لأخذ البيعة لمحمد واستقر في النهاية في البصرة ، وكان اتفاقه أن يخرج بها في نفس الموعد الذي يخرج فيه أخوه في المدينة ، ولكنه مرض بالجدري ولم يعلن عن خروجه في الموعد المحدد . فلما خرج كان محمد قد قتل علي أيدي العباسيين ، وتقابل ابراهيم مع الجيش العباسي في معركة قتل فيها في باخمري قرب الكوفة. في سنة (١٤٥هـ / ٧٦٢م)، انظر، اليعقوبي ، المصدر السابق، جـ٢ ص ٢٧٧ - ٢٧٩ ، الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص ٣١٥ - ٣٨٦ ، ابن طباطبا ، المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

(٩) يذكر البلاذري أن محمدالنفس الذكية استقر في المدينة وبايعه قوم من أهل بيته ومن قريش، انظر، البلاذري، أنساب الأشراف، جـ٣ ص٧٨-٧٩.

(١٠) البلاذري ، أنساب الأشراف، جـ٢ ص٨٠-٨٢ ، الأصفهاني، مقاتل الطالبيين ، ص١٧٤، ١٧٧، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، دار مروان للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص٢٤١ ، شاكر مصطفى ، المرجع السابق ، جـ١ ص٢١٥-٢١٦ ، فاروق عمر ، المرجع السابق ، ص٩٥ .

ولما تولي أبو جعفر المنصور الخلافة بعد أخيه (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤ - ٧٧٥م) تبدلت تلك العلاقات الطيبة بين الطرفين ، فقد عمل المنصور منذ بداية عهده على كشف أمر الأخوين للقضاء علي كل شك في خروجهما ضده ؛ فجد في البحث عنهما مستعملا في ذلك كل ما يمكنه من وسائل ، فتقصى الأمر بسؤال بني هاشم عن أحوالهما(١١)، وأرسل عيونه وجواسيسه للمدينة ليأتوه بأخبارهما ، واشترى عددا من رقيق الأعراب ، وأمرهم بالتخفي والتنقل في نواحي المدينة للاستدلال علي مكان محمد وأخيه اللذين بالغا في التواري والتخفي في أنحاء المدينة ، بالتنقل من مكان إلي آخر ، وعمل محمد في نفس الوقت علي مكاتبة الأقاليم سرا لمبايعته(١٢). ولم يكتف المنصور بذلك ، بل تابع تعيين الولاة على المدينة ، وأمرهم بالكشف عن محمد النفس الزكية ، وكان من يفشل منهم في ذلك يعزله ، ويصادر أمواله ، ويضعه في السجن(١٣) .

---

(١١) الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص٢١٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٤ ص ٢٧٠ .

(١٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ٣ ص ٨٥ ، الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص٢١١-٢١٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، ص ٢٧٠-٢٧٢ .

(١٣) عين المنصور زياد بن عبيد الله الحارثي واليا علي المدينة للكشف عن أمر محمد ، ولما علم المنصور بتهاونه في هذا الأمر عزله في سنة (١٤١هـ/٧٥٨م) وصادر أمواله وحبسه ، وعين محمد بن خالد القسري بدلا منه ، ولما فشل هو أيضا عزله وسجنه بالمدينة في سنة (١٤٤هـ/٦٧١م) ثم اختار لولاية المدينة أحد صعاليك العرب من أهل الشام ممن لا يعرف حرمة لأهل البيت وهو رياح بن عثمان المري وهو ابن عم مسلم بن عقبه المري صاحب موقعة الحرة، وحاول هذا الوالي محاولات عديدة للكشف عن محمد

-

ولم تسفر كل تلك الاجراءات عن وصول المنصور لهدفه ، فأمر بالقبض علي من في المدينة من العلويين من آل الحسن ووضعهم في سجن المدينة، ثم أمر بترحيلهم إلي العراق مكبلين بالأغلال حيث ألقاهم المنصور في السجن الذي عانوا فيه الهوان، وسوء العذاب(١٤).

وكان ما أقدم عليه المنصور من سجن العلويين وتعذيبهم سببا في تعجيل محمد النفس الزكية بالخروج والثورة واعلان نفسه خليفة في المدينة المنورة قبل أن تتم استعداداته، أملا في التأييد الذي سيلقاه من بلدان العالم الاسلامي اذا ما علموا بخروجه، وكان ذلك في مستهل رجب في سنة (١٤٥هـ/٧٦٢م)(١٥) .

ولما علم المنصور بخروج محمد النفس الزكية ، وتأييد أهل المدينة له ، ومبايعتهم اياه بالخلافة، عول على القضاء على هذه الحركة، وأحكم لذلك خطته، فبدأ بمراسلة محمد النفس الزكية كسبا

= النفس الزكية، ولكنه فشل، وانتهى أمره بالسجن والقتل بعد خروج محمد النفس الزكية، انظر، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٧،ص٥١٧، اليعقوبي، المصدر السابق، جـ٢ ص٢٧٤، ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٣ ص١٨٨ .

(١٤) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٢٢٠-٢٢٨، ابن الأثير، الكامل، جـ٤ ص ٢٧٣-٢٧٦ ، ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص ٨١-٨٢ .

(١٥) اليعقوبي ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣٨٦ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٧ ص٥٦٦ ، ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٠ ص٨٣ ، ابن طباطبا ، المصدر السابق ، ص١٦٦ ، ويخالف ابن الأثير في ذكر تاريخ خروج محمد فيذكر انه كان في ٢٨ جمادي الآخرة أو ١٤ من رمضان ، ابن الأثير ، الكامل جـ٥ ص٢ .

للوقت حتي يتم استعداده للحرب ، وتبادل المنصور ومحمد النفس الزكية عدة رسائل ، أظهر فيها كل منهما رغبته في اقناع الآخر بالتنازل عن الخلافة التي ادعي كل منهما أحقيته فيها ، وساق لذلك الأدلة والبراهين ، كما هدد كل منهما الآخر وتوعده ، ولوح له بالعفو والامان، ومنح الأموال إذا ما تنازل عن الخلافة(١٦)، ولكن هذه المراسلات لم تقنع أحداهما برأي الآخر، فبادر المنصور بارسال جيش كبير من العراق إليالمدينة واختار عيسى بن موسى(١٧) ولي عهده قائدا لهذا الجيش .

ولما وصل عيسى بن موسى بجيشه إلي المدينة ، جرت بعض المناوشات والمراسلات بين الطرفين ، ولكن الأمر انتهي باشتباك عيسى بن موسى بجيشه مع محمد النفس الزكية بمن معه من أهل المدينة في معركة غير متكافئة في العدة والعدد ، كانت نهايتها هزيمة ساحقة لمحمد النفس الزكية ، ومن معه من أهل المدينة ، وانتهى الأمر بقتله وصلبه والقضاء على معظم من اشترك معه في

---

(١٦) انظر نص المرسلات ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ٢ ص٩٥-١٠٢ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٧ ص ٥٦٦ - ٥٧١ .

(١٧) عيسي بن موسي بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ولد بالحميمة ، ولاه ابو العباس ولاية العهد بعد المنصور ، وكان قائدا فذا خاض الحروب في سبيل تثبيت أركان الدولة ، وأجبره المنصور علي التنازل عن ولاية العهد لابنه المهدي ثم أجبره المهدي علي التنازل عن الخلافة نهائيا، توفي بالكوفة سنة (١٦٧هـ/٧٣٨م) ، انظر ، ابن طباطبا ، المصدر السابق ص١٧٢-١٧٣ ، السيوطي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

المعركة التي سميت بمعركة أحجار الزيت(١٨) ، وكان ذلك في ١٤ من رمضان في سنة (١٤٥هـ/٧٦٢م)(١٩) .

وما يهمنا من ثورة محمد النفس الزكية هنا النتائج التي ترتبت عليها ، لأنها تمثل في نفس الوقت الدوافع والاسباب غير المباشرة التي كانت وراء ثورة جماعات السودان في المدينة . فقد كانت أولي النتائج وأسوأها التي ترتبت علي فشل ثورة محمد النفس الزكية هي العقوبة الجماعية التي أنزلها المنصور بأهل المدينة جزاء لهم علي تأييدهم لمحمد في ثورته ؛ فقد شارك أهل المدينة محمد النفس الزكية في موقفه منذ بداية الأمر ، فكانوا نعم العون له في

---

(١٨) أحجار الزيت اسم موضوع بالمدينة كانت تقام فيه صلاة الاستسقاء وقيل ان سبب تسميته بذلك أن الزياتون كانوا يضعون علي هذه الأحجار رواياهم . وقيل أيضا أن سبب التسمية سواد لون الحجارة وكأنها طليت بالزيت انظر ، الفيروزبادي ، المصدر السابق ، ص ٩ ، السمهودي ، المصدر السابق ، جـ٤ ص١١٢١-١١٢٢.

(١٩) كان عدد الجيش العباسي أربعة آلاف فارس ، وألفي راجل ، وكان عدد جيش محمد هائلا في بداية الأمر ولكنهم انفضوا من حوله عند المعركة الحاسمة لأن محمدا خطب فيهم وخيرهم بين الاستمرار معه أو الانصراف عنه وحلهم من بيعته وخوفهم من قوة الجيش العباسي وكثرة عدده ، فتركه معظم جيشه في الوقت الذي استطاع الجيش العباسي دخول المدينة بسهولة . بعد أن فتح له (بنو غفار) الطريق من ناحيتهم ، وقاتلوا محمد ومن تبقي معه ، وانتهي الأمر بهزيمته. انظر، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص٥٧٨ وما بعدها، المسعودي، مروج الذهب، جـ٢ ص ٢٠٦-٢٠٧ ابن الأثير، الكامل، جـ٥ ص٨-١١، ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٠ ص٧٨-٧٩.

هربه واختفائه عن أنظار الولاة العباسيين طوال ثلاثة عشر عاما (١٣٢-١٤٥هـ / ٧٤٩-٧٦٢م) قضاها في التنقل داخل المدينة وفي خارجها مختفيا في شعابها وجبالها ، مما كان سببا في فشل ولاة المنصور في اكتشاف أمره ، رغم الدعم الهائل الذي وفره المنصور لهذا الأمر من المال والرجال(٢٠) .

ولم يحاول أهل المدينة اخفاء مشاعرهم في تأييدهم لمحمد النفس الزكية فعندما لجأ الوالي رياح بن عثمان المري إلي تهديدهم بسبب موقفهم في مساعدة محمد علي الاختفاء ، وأفحش في سبه هو وآله ثار أهل المدينة علي هذا الوالي وسبوه ورموه بالحصي حتي هرب إلي دار الامارة(٢١) . وأغلق أبوابها عليه وأرسل للمنصور يشكو اليه فعل أهل المدينة(٢٢) .

---

(٢٠) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٢٢٩-٢٥٩؛ البلاذري، أنساب الأشراف، جـ٣ ، ص٧٨-٨٩، ٩٤، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص٥١٧-٥٥١ ، مجهول ، المصدر السابق ، جـ٢ ص٢٢١-٢٢٨، ابن خلدون، المصدر السابق ، جـ٣ ص ١٩٠ .

(٢١) كانت دار الامارة تسمي أيضا دار مروان لأنها في الأصل كانت لمروان ابن الحكم ، ثم اتخذها الولاه مقرا لهم ، وظلت كذلك طوال العصر الأموي والعصر العباسي ، انظر ، الدينوري ، المصدر السابق ، ص ٢٢٧ ، ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ٣ ص ٦٠ ، ابن شبه ، المصدر السابق ، جـ١ ص ٢٥٦ ، الفيروزبادي ، المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

(٢٢) اليعقوبي ، المصدر السابق ، جـ٢ ص ٢٧٥ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٧ ص ٥٢٧ .

ولما أعلن محمد عن خروجه، وقف أهل المدينة معه ، وأيدوه علنا وبايعوه علي الخلافة(٢٣) واشترك في هذا الموقف عامة أهل المدينة وخاصتهم فحمل عامتهم السلاح ، وكانوا قوام جيشه الذي بلغ عددا هائلا من الرجال في بداية الأمر(٢٤)، أما خاصتهم فكانوا بجانبه دائما للنصيحة والمشورة(٢٥)، وسانده كذلك عدد كبير من فقهاء المدينة(٢٦)، فأفتى

(٢٣) المسعودي، مروج الذهب، جـ٣ ص٣٠٦، مجهول ، المصدر السابق، جـ٢ ص ٢٢٨-٢٢٩ ، ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٠ ص ٨٣-٨٤ ، انضم لمحمد النفس الزكية بنو الحسن وبنو جعفر وبنو عقيل من الطالبيين ، وانضم اليه بنو عمر بن الخطاب وبنو الزبير بن العوام وبنو أمية وسائر قريش والأنصار ، وقبائل جهينة ومزينة ، وبني شجاع ، انظر، البلاذري، أنساب الأشراف جـ٣ ص٩٤، اليعقوبي ، المصدر السابق ، جـ٢ ص ٣٧٦ .

(٢٤) قيل أن الجيش الذي كان مع محمد النفس الزكية وصل إلي ما يقرب من منه ألف، انظر، الطبري تاريخ الرسل والملوك، جـ ٧ ص٥٨٢، ابن كثير، المصدر السابق، جـ١٠ ص٨٨ .

(٢٥) أشار عليه بعض أهل المدينة بالخروج منها إلي بلد آخر حيث أن المدينة ليس بها المال والسلاح والرجال اللازمين للصمود في الحروب، ولكن البعض الآخر أشار عليه بالبقاء في المدينة وحفر خندق حولها تشبها بالرسول (صلي الله عليه وسلم) واستمع محمد لهذه النصيحة الأخيرة وبقي في المدينة، انظر، الطبري، المصدر السابق، جـ٧ ص٥٨٠-٥٨١، الأصفهاني، مقاتل الطالبيين ، ص ٢٦٨ ، ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٠ ص ٨٨ .

(٢٦) كان ممن أيد محمد النفس الذكية من الفقهاء عبد الله بن يزيد بن هرمز، وعبد الحميد بن جعفر، عبد الله بن عمر بن أبي ذئب ، ومحمد
-

مالك بن أنس[٢٧] - إمام دار الهجرة - بجواز البيعة لمحمد النفس الزكية عندما سأله أهل المدينة عن شرعية ذلك لما للمنصور من بيعة في رقبتهم، وقال فتواه المشهورة، «انما بايعتم مكرهين وليس علي مكره يمين»[٢٨] . ومن الذين أسرعوا لمبايعة النفس الزكية أبو بكر بن أبي سبرة[٢٩] الذي كان في تلك الفترة عاملا علي صدقات

ابن عجلان ، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي ، وغيرهم ، انظر ، الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٣ - ٢٨٦ ، المسعودي مروج الذهب ، جـ٣ ص ٣٠٦ . الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، طبعة دار القلم ، جـ ٩ ص ٢٢٣ ، السيوطي ، المصدر السابق ، ص ٢٢٤ .

(٢٧) مالك بن أنس بن عامر الأصبحي ، كان محدثا وفقيها ، وعالما متقدما في المدينة ، واطلق عليه إمام دار الهجرة ، ومن كتبه الموطأ ، والمدونة الكبري، وكان له مذهبه الفقهي الذي نسب اليه ، وانتشر المذهب المالكي في مصر وشمال افريقيا ، والأندلس وبعض بلاد المشرق ، وولد وتوفي في المدينة (٩٣-١٧٩ هـ/ ٧١١-٧٩٥م) ، انظر ، ابن سعد ، المصدر السابق جـ٥ ص١٤ ، ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٠ ص ١٧٤ .

(٢٨) الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ٢٨٣ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٧ ص ٥٦٠ ، ابن كثير الكامل ، جـ٥ ص ٣ ، مجهول ، المصدر السابق ، جـ٢ ص ٢٢٨-٢٢٩، السيوطي، المصدر السابق، ص٢٤٢.

(٢٩) أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبره من أهل العلم بالسيرة وأيام الناس، واسع العلم كثير الحديث حدث عنه الناس وفي حديثه ضعف، وتولي قضاء المدينة في عهد المنصور في ولاية زياد بن عبيد الله الحارثي وتولي جمع الصدقات من أسد وطيء في عهد رياح بن عثمان المري، وشارك في ثورةالنفس الزكية، وسجن، انظر، الزبيري، المصدر السابق، ص٤٢٩، وكيع، المصدرالسابق، جـ١ ص٢٠٠-٢٠١، ابن حزم، المصدر السابق، ص١٦٩ .

أسد وطيء ، ومد محمدا بالأموال التي كان قد جمعها من تلك الصدقات ، وكانت هذه الأموال قوة عظيمة ، ومعونة كبيرة لمحمد النفس الزكية في ثورته(٣٠) .

وهكذا ظهر للعباسيين منذ بداية الأمر تأييد أهل المدينة ومساندتهم لمحمد النفس الزكية ، فلما فشلت ثورته كان على أهل المدينة مواجهة العقوبة التي صبها عليهم العباسيون بسبب موقفهم هذا، وبدأ عيسى بن موسى هذا العقاب في الأيام القليلة التي أقامها بالمدينة بعد انتصاره ، ثم رحل بعد أن ولي عليها أحد قواد جيشه كثير بن الحصين العبدي ، وعلى الرغم من أن هذا الوالي لم تدم ولايته اكثر من شهر واحد(٣١) إلا أنه أكمل ما بدأه عيسى بن موسى بمحاسبة كل من شارك في ثورة النفس الزكية من أهل المدينة المنورة عامة ، ومن العلويين خاصة فصودرت أموالهم وممتلكاتهم ، وقتل عدد كبير منهم ، وأودع من تبقي منهم في السجن ، وتعرض الباقون للتهديد والوعيد ، واستبيحت حرمة الفقهاء ، وتعرضوا للاهانة والتهديد ولم يعف عنهم إلا بعد اعترافهم بخروجهم في فتنة عمت الناس أما قاضي المدينة السابق أبو بكر بن أبي سبره فقد قبض

---

(٣٠) البلاذري، أنساب الأشراف جـ٣ ص١٢٠ ، وكيع المصدر السابق ، جـ١ ص٢٠١.

(٣١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك، طبعة دار القلم ، جـ٩ ص٢٣٥ ، خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق سهيل زكار ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، ١٩٦٨ م ، القسم الثاني ، ص ٦٤٩ . ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٠ ص ٩ .

عليه ووضع في السجن مكبلا في الأغلال(٣٢) ، ولم يكن السودان غافلين عما يحدث لسادتهم من أهل المدينة من ذل وهوان على ايدي ولاة العباسيين .

عزل المنصور كثير بن الحصين وولي عليها عبد الله بن الربيع الحارثي(٣٣) الذي وصل المديـنة في الخامس والعشرين من شوال سنه (١٤٥هـ/٧٦٢م) وبصحبته فرقة من الجند الخرسانيين(٣٤) ليكمل ما بدأه الوالي السابق ، حتي يرضي الخليفة العباسي المنصور ويطفيء غضبه المتوقد على أهل المدينة ، ولم يكتف الوالي الجديد بما حدث لأهل المدينة قبله من عقاب ولكنه اتاح لجنده المشاركة في

---

(٣٢) الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص٢٨٨-٣٠٠، اليعقوبي، المصدر السابق ، جـ٢ ص٣٧٦، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، طبعة دار القلم ، جـ٩ ص٢٢٩-٢٣٢ ، وكيع المصدر السابق ، جـ١ ص ٢٠١ ، ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٠ ص٩٠ ، السيوطي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٣ ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، جـ٣ ص ١٩٣ .

(٣٣) لم أجد لعبد الله بن الربيع الحارثي ترجمة في المصادر التي بين أيدينا علي أن البلاذري ذكر في معرض حديثه عن ثورة ابراهيم بن عبد الله في البصرة ما يثبت قرب عبد الله بن الربيع من الخليفة المنصور حتي أنه كان يصحبه في سيره فقال . « فلما قتل محمد بن عبد الله بالمدينة ، وابراهيم بالبصرة أقبل المنصور إلي بغداد ، ومعه عبد الله بن الربيع الحارثي يسايره ، فقال له : عبد الله بن الربيع ، لقد كان عبد الملك حازما . قال : أجل كان رجل قومه فما بلغك عنه ؟ قال عبد الله : بلغني عنه يا أمير المؤمنين ....» انظر ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ٣ ص١١٧ - ١١٨ .

(٣٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، طبعة دار القلم، جـ٩ ص٢٣٥، الزبيري، المصدر السابق ص٤٢٩، ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٠ ص٩٠ .

معاقبة عامة أهل المدينة فترك لهم العنان في العبث والفساد والتطاول المستمر علي أهل المدينة ، وكان أكثر من تعرض لعنت هؤلاء الجند وقسوتهم أهل سوق المدينة(٣٥)، فكان الجند يستولون علي البضائع من التجار ويرفضون دفع أثمانها ، وعندما يصر صاحب الحق على المطالبة بثمن بضاعته يتعرض للاهانة والضرب من الجند، ويخوف بالقتل(٣٦) .

ولم يجد أهل السوق أمامهم إلا الشكوي للوالي من سوء معاملة الجند ، ولكن الوالي بدلا من ردع الجند ومعاقبتهم علي سوء أفعالهم نهر أهل المدينة ، وأقذعهم بالسباب ، مما أطمع الجند ؛ فتمادوا في السلب والنهب من السوق بالقوة مما دفع أهل السوق إلي التجمع ومدافعة هؤلاء الجند بالقوة، وتكررت اعتداءات الجند ونهبهم للبضائع، وتكررت شكوى أهل السوق للوالي من جنده ، وفي كل مرة لم يكن الوالي يستمع لشكواهم أو يدفع الظلم عنهم أو حتي ينكر علي جنده أعمالهم(٣٧) ، وعاني أهل السوق من جراء ذلك

---

(٣٥) كان لأهل المدينة عدة أسواق في العصر الجاهلي كان منها سوق بزبالة ، وسوق بالجسر ، وسوق بالصفاصف ، وسوق مزاحم ، واتخذ المسلمون لهم سوقا في موضع بقيع الزبير بطريق بقيع الغرقد ، فاغتاظ اليهود من وضع السوق فدخلها كعب بن الأشرف اليهودي، وقطع أطنابها، فنقلها الرسول (صلي الله عليه وسلم) إلي موضع سوق المدينة غربي المسجد النبوي، انظر، السمهودي ، المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٤٧ - ٧٤٨ .

(٣٦) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ٣ ص١٢٠ ، الزبيري ، المصدر السابق ، ص٢٢٩ ، ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٠ ص ٩٠ .

(٣٧) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، طبعة دار القلم، جـ٩ ص٢٢٦، ابن الأثير، الكامل، جـ٥ ص١٢، ابن كثير، المصدر السابق ، جـ١٠ ص٩٠.

العنت الكثير من الذل والهوان ، فلم يكن في استطاعة أهل المدينة الاعتراض علي هذا الوضع بأكثر من التجمع والشكوى للوالي ، وهم لا يجرؤن علي رفع شكواهم للخليفة ، وهم كذلك مرغمون علي قبول الشتائم والسباب من الوالي دون الرد عليه ، لئلا يجروا علي أنفسهم مزيدا من غضب الخليفة عليهم ولا زال موقفهم من ثورة محمد النفس الزكية ومعاونتهم إياه ماثلا في الأذهان .

ولم تقف معاناة أهل المدينة عند حد تحملهم غطرسة الجند واستبداد الوالي ، ولكنها تعدت ذلك إلي المعاناه . التي أصابتهم بسبب تدهور الأحوال الاقتصادية والمعيشية بسبب قلة الأطعمة الموجودة بالسوق وارتفاع أسعارها نتيجة للحصار الاقتصادي الذي فرضه الخليفة المنصور علي أهل المدينة خلال ثورة محمد النفس الزكية والذي لجأ إليه كوسيلة من وسائل الضغط علي محمد النفس الزكية ومن معه من أهل المدينة ، فكان المنصور قد أمر بوضع فرقة من الجند في وادي القري(٣٨)ليمنع وصول الأطعمة للمدينة برا عن طريق بلاد الشام (٣٩)، كما أمر بردم

---

(٣٨) وادي القري : واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة ، كثير القري، وفتحه (الرسول صلي الله عليه وسلم) في سنة (٧ هـ/٦٢٨م) عنوه وكان أهله من اليهود ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٥ ص ٣٤٥ .

(٣٩) كان جعفر بن حنظلة البهراني هو الذي أشار علي المنصور بوضع فرقة من الجند في وادي القري ليمنع ميرة الشام حتي يموت محمد ومن معه جوعا ، فقد ظهر بالمدينة حيث لامال ولا رجال ولا سلاح. انظر، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، طبعة دار القلم ، جـ٩ ص ٢١٦-٢١٧ ، ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٠ ص ٨٧.

خليج أمير المؤمنين(٤٠) في مصر حتي يمنع خروج الأطعمة من مصر إلي المدينة عن طريق البحر(٤١)، وعلينا هنا أن نتصور مدي عظم المعاناه التي عاناها التجار في السوق بسبب نهب الجند للقليل من البضائع المعروضة لديهم دون دفع أثمانها .

---

(٤٠) يرجع حفر هذا الخليج إلي العهد الفرعوني منذ عهد الملك سيزوستوريس ، ليصل بين البحر الأحمر والنيل ، وكان هذا الخليج يخرج من فم الخليج شمال مصر القديمة مارا بالأراضي الزراعية حيث تجري ترعة الاسماعلية إلي العباسية بمديرية الشرقية ثم إلي مكان مدينة الاسماعلية الحالية ومنها إلي القلزم (السويس) علي البحر الأحمر ، وكان هذا الخليج يهمل أحيانا ويعاد حفره أحيانا أخري تبعا للاهتمام بنقل التجارة بين البحر الأحمر والنيل ، وفي العهد الاسلامي أمر الخليفة عمر بن الخطاب واليه علي مصر عمرو بن العاص بإعادة حفر هذا الخليج ليسهل حمل الطعام من مصر إلي بلاد الحجاز علي أثر الشدة التي أصابت أهل الحجاز فيما يعرف بعام الرمادة سنة (٢٢هـ/٦٤٣م) وأطلق عليه منذ ذلك الحين خليج أمير المؤمنين ، وكانت السفن المحملة بالطعام تخرج من الخليج إلي بحر القلزم ثم تفرغ حمولتها في ميناء الجار وهو ميناء المدينة علي بحر القلزم ومنه تحمل الأطعمة إلي المدينة ، انظر، ابن عبد الحكم، المصدر السابق ، ص ١١٢ - ١١٣ ، المقريزي ، المصدر السابق ، جـ١ ص٧١، جـ٢ ص ١٤٣ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٢ ص ٣٨٦ ، سيدة كاشف ، مصر في فجر الاسلام ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٠م ، ص٢٦٥-٢٦٨.

(٤١) يشير كل من المقريزي وياقوت إلي أن المنصور أمر بردم خليج أمير المؤمنين لمنع الميرة عن المدينة اثناء ثورة محمد النفس الذكية ، بينما يروي الطبري وابن الأثير أن المنصور أمر بذلك بعد انتهاء ثورة النفس الذكية وظل أمره ساريا حتي عهد المهدي الذي أنهي ذلك فأذن بادخال الميره إلي المدينة عن طريق البحر ، انظر المقريزي ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص١٤٣ ، ٣٨٦ ، معجم البلدان ، جـ٢ ص٣٨٦ ، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، طبعة دار القلم، جـ٩ ص٢٢٢، ابن الأثير، الكامل، جـ٥ ص١١.

ولما كانت جماعات السودان - كما ذكرنا من قبل - تشكل جزء لابأس به من التكوين السكاني للمدينة المنورة ، وكانت هذه الجماعات في معظمها تمثل الطبقة العاملة عند سادتهم من أهل المدينة من التجار وغيرهم ، لذلك فمن المؤكد أن عدد السودان بالسوق كان كبيرا(٤٢)، مما أتاح لهم أن يلمسوا عن قرب ما يحدث في سوق المدينة من صراع بين التجار والجند العباسيين ، بل كثيرا ما كانوا هم أنفسهم طرفا في هذا الصراع علي القليل من الأقوات المعروضة في السوق والتي كثيرا ما نهبها الجند دون دفع أثمانها ؛ مما كان دافعا لاثارة غضب السودان وثورتهم علي هؤلاء الجند(٤٣) .

وقد زاد من وطأة غضب السودان ما كان يعانيه السودان أنفسهم من سوء الأحوال الاقتصادية ، حتي أن بعضهم كان يمتهن الشحاذة ، وكان البعض منهم لا يجد الا الأسمال البالية لستر عورته(٤٤) .

---

(٤٢) اشار الطبري إلي كثرة عدد السودان فذكر وجودهم في عالية المدينة وسافلتها، وفي الدروب والمنازل وفي السوق . انظـر الطبري ، تاريـخ الأمم والملوك ، طبعة دار القلم ، جـ٩ ص ٢٢٦ .

(٤٣) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٩ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٠ ص ٩٠ .

(٤٤) يشير الطبري في حديثه عن الثورة بما ينم عن سوء أحوال السودان فيذكر أن الوالي «خرج اليهم فاستطردوا له حتي أتي السوق فمر بمساكين خمسة يسألون في طريق المسجد فحمل عليهم بمن معه حتي قتلوهم..» ثم يقول، «وقتل السودان نفرا من الجند فهابهم الجند حتي أن كان الفارس ليلقي الأسود وما عليه إلا خرقتان علي عورته ودراعه فيوليه دبره احتقارا له..». انظر، الطبري، المصدر السابق، طبعة دار القلم، جـ٩ ص٢٢٦.

فاذا أضفنا لهذين العاملين ما لمسه السودان من قبل من معاناة أهل المدينة علي أيدي السلطات العباسية علي أثر فشل ثورة محمد النفس الزكية لأدركنا الأسباب التي دفعت السودان للقيام بثورة عارمة في صباح يوم الجمعة الثالث والعشرين من ذي الحجة في سنة (١٤٥هـ/٧٦٢م) أي بعد انتهاء ثورة النفس الزكية بثلاثة أشهر تقريبا(٤٥) .

أحداث الثـورة :

بدأت أحداث الثورة بوقوع اشـتباك بين أحد الجند العباسيين وأحد الجزارين في السوق ، بسبب رفض هذا الجندي دفع ثمن ما اشتراه ، وتطور الاشتباك ، فتجمع الجزارون ، وأهل السوق علي الجندي الذي قتل خلال الاشتباك علي أثر طعنة تلقاها من الجـزار وحينئـذ تـنادي السـودان للتجمـع ، اذ من المرجح أن الجزار الذي اشتبك مع الجندي كان من السودان الذين يعملون في السوق(٤٦) .

ونفخ السودان في بوق لهم ايذانا بالتجمع فكان من يسمع منهم هذا البوق في أية ناحية من نواحي المدينة، يترك ما بيده من عمـل،

---

(٤٥) انتهت ثورة النفس الزكية بمقتله في يوم ١٤ من رمضان في عام (١٤٥هـ/٧٦٢م) ونشبت ثورة السودان في ٢٣ من ذي الحجة في نفس العام، انظر، الطبري، تاريخ الأمم والملوك طبعة دار القلم ، جـ٩ ص٢٢٥، ٢٢٦، ابن كثير ، المصدر السابق، جـ١٠ ص٨٩-٩٠.

(٤٦) يقول الطبري : أن رئيس ثورة السودان كان وثيق وخليفته يعقل الجزار. انظر، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، طبعة دار القلم، جـ٩ ص٢٢٧.

ويمضي لمصدر الصوت مسرعا حتي يأتيه لينضم لغيره من السودان ، ورأس تجمع السودان جماعة منهم لم تتفق المصادر علي أسمائهم فيذكرهم ابن الأثير(٤٧) باسم وثيق ويعقل وزمعه ، ويضيف الطبري اليهم (٤٨) أبا النار ومسعر وحديا وعنقود وأبي قيس ، أما البلاذري وصاحب العيون الحدائق(٤٩) فيذكران أن اسم قائد الثورة كان أتيوا ، ومهما كانت أسماء قواد السودان وعددهم فان الطريقة المنظمة التي تجمعوا بها ، ووجود القيادة التي توجههم توضح أن هذه الثورة لم تكن وليدة اللحظة بل كان مبيتا لها من قبل ، وهو ما يؤكد ان سبب هذه الثورة لم يكن هذا السبب المباشر فقط بل يرجع للأسباب التي ذكرناها أيضا .

حمل السودان الذين تجمعوا علي الجند وطاردوا كل من وجدوه منهم في السوق، أو ذاهبا لصلاة الجمعة، وأعملوا فيهم القتل، ويبدو أن الوالي علم بالأمر وهو في طريقه لصلاة الجمعة، فقرر أن يذهب إلي السوق للقضاء علي الفتنة التي أشعلتها جماعات السودان، وفي طريقه صادف من السودان خمسة مساكين يسألون الصدقة، فحمل الجند المصاحبين للوالي عليهم، وقتلوهم وفي طريقه أيضا مر ببعض الصبية من السودان يلعبون أمام احدي الدور فظن أنهم من الثوار فخدعهم حتي أمنوا فضرب أعناقهم ، ولما وصل إلى السوق كانت جماعات السودان في انتظاره؛ فحملوا عليه هو ومن معه من الجند

---

(٤٧) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ص ١٣ .

(٤٨) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، طبعة دار القلم، جـ٩ ص٢٢٨ .

(٤٩) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٢ ص ١٢٠ ، مجهول ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٤٩ .

حملة قوية أجبرته على الفرار، وطاردوه حتي وصل إلى البقيع(٥٠).

وكان الوالي يدرك ما يعانيه السودان من سوء الأحوال الاقتصادية، فلجأ لنثر بعض الدراهم(٥١) عليهم حتي يشغلهم عن مطاردته واستطاع بذلك الهرب إلي خارج المدينة حتي وصل إلى موقع يسمى بطن نخل(٥٢) فأقام به، في الوقت الذي أظهر فيه السودان شجاعة فائقة في مطاردة الجند، وأعملوا فيهم القتل حتى دب الرعب في قلوب الجند، وخيل إليهم أن هؤلاء السودان «ما هم إلا سحرة أو شياطين»(٥٣).

---

(٥٠) البقيع، هو الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتي، وكان بالمدينة عدة أماكن أطلق عليها البقيع؛ منها بقيع بطحان، وبقيع الخبجبة، وبقيع الخيل، وبقيع الزبير، وبقيع الفرقد وهو مقبرة أهل المدينة، ولم تبين المصادر إلي أي هذه الأماكن هرب والي المدينة، ولكن من المرجح أنه هرب لبقيع الفرقد أو بقيع الزبير فالسمهودي يذكر انهما في الطريق لسوق المدينة، انظر ياقوت، معجم البلدان، جـ١ ص٤٧٣-٤٧٤، السمهودي، المصدر السابق، جـ٢ ص ٧٤٧ - ٧٤٨، جـ٤ ص١١٥٢-١١٥٣.

(٥١) يذكر ابن كثير، ان الوالي ألقي للسودان بردائه ليشغلهم به، انظر، ابن كثير، المصدر السابق، جـ١٠ ص ٩١.

(٥٢) نخل: جمع نخلة، بطن نخل: قرية قريبة من المدينة علي بعد ليلتين منها علي طريق البصرة. انظر، ياقوت، معجم البلدان، جـ١ ص٤٤٩، الفيروزبادي، المصدر السابق، ص٥٧، الطبري، المصدر السابق، جـ٩ ص٢٢٧. ويذكر البلاذري انه نزل بنر المطلب: وهي موقع في طريق العراق علي سبعة أميال من المدينة، انظر، البلاذري، انساب الأشراف، جـ٣ ص١٢٠، ياقوت، معجم البلدان، جـ١ ص٣٠١.

(٥٣) يقول الطبري: «وقتل السودان نفرا من الجند فهابهم الجند حتي

-

غدت المدينة وقد عمتها الفوضى، وانتشرت الفتنة في انحائها، وانضم للسودان عدد كبير من الصبيان والرعاع ، وكسروا باب السجن وأخرجوا من به(٥٤)، ونهبوا دار الامارة ، ودار يزيد(٥٥) وتم الاستيلاء علي ما فيهما من طعام كان مخزونا لميرة الجند ، وبيع هذا الطعام في السوق حتي رخصت أسعاره فوصل ثمن حمل الدقيق إلى درهمين وراوية الزيت إلي أربعة دراهم(٥٦) .

موقف أهل المدينة وأثره في انهاء الثورة :

ولم يشارك أهل المدينة في هذه الثورة ، ويبدو أن عنف أحداثها ، وسرعة تواليها أذهلتهم ، كما أن ظهور قوة السودان وجرأتهم في تناول الأمر ، ثم فرار الوالي من المدينة ، زادالأمر تعقيدا أمام أهل المدينة ، ولم ينقذ الموقف إلا مبادرة أبي بكر بن

= أن كان الفارس ليلقي الأسود وما عليه إلاخرقتان علي عورته ودراعة فيوليه دبره احتقارا له ثم لم يلبث أن يشد عليه بعمود من عمد السوق ، فيقتله ، فكانوا يقولون : « ما هؤلاء السودان إلا سحرة أو شياطين » انظر ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، طبعة دار القلم ، جـ٩ ص ٢٢٦ .

(٥٤) الزبيري ، المصدر السابق ، ص ٤٢٩ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ٣ ص ١٢٠ .

(٥٥) دار يزيد : وهي دار كانت ليزيد بن معاوية بن أبي سفيان اتخذها بجانب دار الامارة إلي الغرب منها وكانت من أعظم الدور وأشرفها بناء ، انظر ، ابن شبه ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٥٦ ، السمهودي ، المصدر السابق ، جـ٢ ص٧٢١.

(٥٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، طبعة دار القلم، جـ٩ ص٢٢٦، ابن كثير، المصدر السابق، جـ١٠ ص٩١، ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٣ ص١٩٢.

أبي سبره لحل المشكلة بعداخراجه من السجن، وتروي المصادر(٥٧) أن السودان عندما كسروا باب السجن وأخرجوا من به أرادوا فك الأغلال الحديدية التي كان ابن أبي سبرة مكبلا بها ، ولكنه رفض ذلك ، ولما أحس أبو بكر بن أبي سبره بخطورة الموقف توجه بأغلاله إلي المسجد النبوي وعقد اجتماعا مع كبار رجال المدينة وعلي رأسهم محمد بن عمران بن طلحة(٥٨) ومحمد بن عبد العزيز الزهري(٥٩) ، وناشد الجميع أن يتكاتفوا لحل المشكلة التي وقعوا فيها ، وحذرهم من الفتنه ، وخوفهم من رد الفعل لدي الخليفة المنصور ، وذكرهم أن الخليفة لم يغفر لهم بعد فعلتهم التي فعلوها من قبل باشتراكهم في ثورة محمد النفس الزكية ، وقـال « أنشـدكم

---

(٥٧) الزبيري ، المصدر السابق ، ص ٤٢٩ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٣ ص ١٢٠ .

(٥٨) محمد بن عمران بن ابراهيم بن محمد بن طلحة ، كان من أهل المروءة والعفاف والصلابة في القضاء ولايطمع في حكمه ، وله فقه وعلم وأدب ، كان آخر قضاة بني أمية في المدينة ، كما تولي القضاء في ولاية زياد بن عبيد الله الحارثي في عهد المنصور ولم يشارك في ثورة محمد النفس الزكية . انظر، الزبيري ، المصدر السابق ، ص ٢٨٤ ، وكيع ، المصدر السابق ، جـ١ ص١٨١-١٩٩.

(٥٩) محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، وكان كثير العلم وله شرف ومقدار تولي قضاء المدينة في عهد المنصور في عهد الوالي رباح بن عثمان وفي عهد الوالي كثير بن الحصين ثم أقره الوالي عبد الله بن الربيع الحارثي علي القضاء واستمر في القضاء أيضا في عهد الوالي جعفر بن سليمان ، ولم يشارك في فتنة محمد النفس الزكية . انظر ، الزبيري ، المصدر السابق ، ص٢٧١ ، خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص٦٤٩ ، ٦٥٢ ، وكيع ، المصدر السابق ، جـ١ ص ٢٢٤ .

الله وهذه البلية التي وقعت فوالله لئن تمت علينا عند أمير المؤمنين بعد الفعلة الأولي أنه لاصطلام البلد وأهله»، وطلب منهم الذهاب إلي السوق ، حيث تجمع السودان ليطلبوا منهم الهدوء والرجوع عما هم فيه ، وكان من رأيه أن هؤلاء السودان لايقوون علي الوقوف في وجه السلطة ، خاصة وأن هذه الثورة لم تقم بناء علي تنظيم سابق أو دعوة منظمة ، وإنما قام السودان بها أنفة وحمية لسادتهم(٦٠).

وأوردت المصادر التي بين أيدينا عدة روايات تذكر كيف عمل أهل المدينة علي انهاء الثورة، فتذكر الرواية الأولى أن جماعة من أهل المدينة ذهبوا إلى السودان وقد عسكروا في السوق فكلموهم بما قاله أبو بكر بن أبي سبرة فكان رد جماعات السودان الترحيب بسادتهم من أهل المدينة وقالوا لهم : « مرحبا بكم يا موالينا والله ما قمنا إلا أنفة لكم مما عمل بكم فأيدينا مع أيديكم وأمرنا إليكم. فأقبلوا بهم إلى المسجد »(٦١) .

أما الرواية الثانية فتذكر أن زعيم السودان وثيق رد علي من كلمه من أهل المدينة بأن الأمر قد وقع وطلب منهم ترك السودان ليأخذوا بثأرهم وثار أهل المدينة ، ولكن هؤلاء لم يزالوا بهم حتي تفرق السودان وانفضوا(٦٢). وفي هاتين الروايتين ما يشير إلى طاعة

---

(٦٠) البلاذري، أنساب الأشراف، جـ٢ ص١٢٠، وكيع، المصدرالسابق، جـ١ ص٢٠١-٢٠٢، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، طبعة دار القلم، جـ٩ ص٢٢٦-٢٢٧.

(٦١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، طبعة دار القلم ، جـ٩ ص ٢٢٧ ، ابن الأثير ، الكامل، جـ٥ ص ١٣ - ١٤ .

(٦٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، طبعة دار القلم، جـ٩ ص٢٢٧، ابن كثير المصدر السابق، جـ١٠ ص٩١،ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٢ ص١٩٢.

جماعات السودان وتراجعهم عن موقفهم نزولا علي رأي سادتهم من أهل المدينة لعدم جدوي ما يقومون به من ثورة في وجه السلطة .

أما الرواية الثالثة فتذكر موقفا مختلفا للسودان ، فتشير إلي ذهاب محمد بن عمران إلي السوق ومقابلته زعيم السودان وثيق ، وخليفته يعقل الجزار ، فلما رفض وثيق مطلب أهل المدينة سأله ابن عمران إلي من تعهد ياوثيق ، «قال:إلى أربعة من بني هاشم ، وأربعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، وأربعة من الموالي ، ثم الأمر شوري بينهم ، قال : أسأل الله إن ولاك شيئا من أمرنا أن يرزقنا عدلك ، قال:قد والله ولانيه الله(٦٣)» ، وتشير هذه الرواية أيضا إلي ما يوضح عدم طاعة السودان لأهل المدينة ، وتمسكهم بموقفهم، حتي إنهم سموا زعيمهم بأمير المؤمنين مما دعى محمد بن عمران إلى إعمال الحيله مع زعيمهم ، فلما تمكن منه أمر به فأوثق ووضع في السجن ، وتفرق السودان بعد أن أخذ زعيمهم وقبض علي كبارهم(٦٤). وعلي الرغم من اختلاف الروايتين الأولى والثانية عن الرواية الثالثة في موقف جماعات السودان من مطلب أهل المدينة بانهاء الثورة إلا إنه من المرجح إن هذا الاختلاف لا يرجع لاختلاف في روايات المصادر ، ولكنه يرجع إلى الاختلاف في

---

(٦٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الأمم والملوك، جـ٩ ص٢٣٧، ويذكر البلاذري في روايته أن زعيم السودان كان اسمه اوتيوا وأن فقيه المدينة محمد بن أبي ذنب سأل بعضهم ما هذا ؟ فقال . هذا أوتيوا أميرنا وهو أمير المؤمنين فقال . يارب ان كان في سابق علمك أن يلي أمرنا أتيوا هذا فارزقنا عدله . البلاذري . أنساب الأشراف . جـ٢ ص ١٢٠ .

(٦٤) الزبيري . المصدر السابق . ص ٤٢٩ . البلاذري . أنساب الأشراف جـ٢ ص١٢٠-١٢١.

موقف عامة جماعة السودان عن موقف زعماء السودان، فقد وافقت عامة جماعة السـودان فـورا علي انهـاء الثورة والذهاب إلي المسجد حيث اجتمع أهل المدينة لمناقشة الموقف بناء علي مطلب سادتهم من أهل المدينة في حين أن الرفض الذي ذكرته الرواية الثالثة كان من زعماء السودان فقط ومما يؤيد هذا أن العقاب الذي أنزله الوالي بالسودان بعد انتهاء الثورة لم يقع إلا علي رؤساء الثورة فقط ، ولم يعمم هذا العقاب علي جماعات السودان مع اشتراكهم جميعا في الأحداث(٦٥) .

ومهما يكن من أمر فقد هدأت الأحوال في السوق ، وتجمع الناس بالمسجد النبوي وقد حانت صلاة العشاء الآخره ، ورفض أبو بكر بن أبي سبره امامة الصلاة بحجة أنه أسير ، والأسير لا يؤم ، وعاد إلي السجن مرة أخرى ، وخوفا من تهمة العمل ضد السلطة العباسية تراجع الجميع عن امامة الصلاة ، حتى استجمع الاصبغ بن سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان الأموي شجاعته ، وتقدم لامامة الصلاة، وحتي ينفي عن نفسه شبهه عصيان الخليفة ، اتجه إلي المصلين بعد استوائهم للصلاة ، ونادي بأعلي صوته معلنا أنه يصلي بالناس علي طاعة أمير المؤمنين وردد ذلك مرتين أو ثلاثة(٦٦) .

وفي اليوم التالي أراد أبو بكر بن أبي سبرة أن يقضي على آثـار

---

(٦٥) الطبـري، تاريخ الأمم والملوك، طبعة دار القلم، جـ٩ ص٢٢٨ ، ابن كثير، المصدر السابق ، جـ١٠ ص ٩١ .

(٦٦) الطبـري ، تاريـخ الأمـم والملـوك ، طبعـة دار القلـم ، جـ ٩ ص٢٢٧ - ٢٢٨ ، ابن الأثير ، الكامـل ، جـ٥ ص ١٣-١٤ ، ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ٢ ص ١٩٢ .

ما حدث في اليوم السابق ، فطالب أهل المدينة بأن يردوا ما حصلوا عليه من الأطعمة التى نهبت من دار الامارة ، وعين الحكم بن عبد الله ابن المغيرة بن وهب ليتلقى من الناس ما حصلوا عليه ، فقيل أنه أصاب ما قيمته ألف دينار(٦٧). وركب نفر من قريش إلى بطن نخل ، وطلبوا من الوالى العودة إلى المدينة ، وبعد تمنع وافق الوالى على العودة بعد أن ضمنوا له ارجاع ما انتهب من دار الامارة . وأنزل الوالى القصاص بزعماء الثورة ، فقطعت أيديهم(٦٨)، وبذلك أعتبرت هذه الثورة كأنها سرقة عقوبتها قطع اليد ، وكافأ الخليفة المنصور أبابكر بن أبي سبرة فأمر باخراجه من السجن ومنحه مبلغا من المال ، وعينه فيما بعد قاضيا علي بغداد(٦٩).

وهكذا انتهت هذه الثـورة التى يجب أن يذكـرها التاريخ كثورة فريدة من نوعها، ليس لها نظير في ثورات العبيد على مر العصور، فدائما توجه ثـورات العبيد ضد ســادتهم بسـبب ما قد يقع عليهـم من ظلم على أيدى هؤلاء السادة ، وكما حدث على ســبيل المثال في الثـورة التى قام بها زنوج العراق في البصــرة فـي

(٦٧) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، طبعة دار القلم، جـ٩ ص٢٢٨.

(٦٨) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، طبعة دار القلم، جـ٩ ص٢٨، ابن الأثير، الكامل، جـ٥ ص١٤، ابن كثير، المصدر السابق، جـ١٠ ص٩١، ابن خلدون ، المصدر السابق، جـ٣ ص١٩٤. ويذكر كل من الزبيرى والبلاذري أنه قبض علي زعيم الثورة، وشد في الحديد ووضع في السجن حتي مات جوعا. انظر، الزبيرى، المصدر السابق، ص٤٢٩، البلاذرى، أنساب الأشراف، جـ٣ ص١٢١.

(٦٩) الزبيرى ، المصدر السابق ، ص ٤٣٠ ، وكيع ، المصدر السابق ، جـ١ ص ٢٠٢ ، ابن حزم ، المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

سنة (٢٥٥هـ/ ٨٨٣م)(٧٠)، أما ثورة السودان في المدينة فهي تختلف اختلافا بينا، فقد كانت ثورة من أجل كرامة الأسياد التى أذلها وأهانها الوالى العباسي وجنده ، ومع أنني اتفق مع البعض(٧١) في أن ثورة السودان في المدينة تحوي مظاهر مختلفة لاستشعار السودان شخصيتهم، واحساسهم بقوتهم ونفوذهم، إلا إنني لاأتفق مع القول بأن هذه الثورة كانت مظهرا من مظاهر العصبية السودانية التي ظهرت في ذلك الحين مثلها في ذلك مثل العصبيات الأخري التى أظهرتها الحركة الشعوبية، فمجتمع المدينة المنورة لم تظهر فيه أبدا بوادر شعوبية كتلك التى شاعت في العالم الاسلامي في ذلك الوقت سواء من جانب السودان أو من جانب غيرهم من أهل المدينة، ويؤكد ذلك أن كبار رجال أهل المدينة لم يكونوا جميعا يرون رأي ابي بكر ابن أبى سبرة في أن ما حدث من السودان كان مجرد فتنه من جماعة ليس لديها تنظيم ولا هدف ، ولا تستطيع الصمود أمام السلطة العباسية(٧٢)، فقدأشارت المصادر(٧٣) إلى أن هناك من أهل المدينة من كان يرى غير ذلك فأراد التعرف علي أفكار جماعة السودان ورؤياها للمستقبل ، إذا ما نجحت الثورة ، وقدر للسودان أن يحكموا المدينة ، وفي هذا ما يشير إلى تقبل هؤلاء البعض فكرة

---

(٧٠) المسعودى، مروج الذهب، جـ٤ ص١٩٤-١٩٥، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص٢٥٠-٢٥١، مجهول، المصدز السابق، جـ٤ ص٤٧-٥٤.

(٧١) طه الحاجرى ، المصدر السابق ، ص ٢٤٣ .

(٧٢) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، طبعة دار القلم، جـ٩ ص٢٢٧.

(٧٣) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، جـ٣ ص ١٢٠ ، الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، طبعة دار القلم ، جـ٩ ص ٢٢٧ .

اشتراك السودان في ادارة المدينة(٧٤) هذا من ناحية ، ومن ناحية أخري فان الرد الذي رد به زعيم السودان علي أهل المدينة برغبته في أن يشترك أهل المدينة من هاشمين، وقرشيين، وأنصار ، وموالي، في اختيار من يحكم المدينة يؤكد رؤية السودان لمدى التلاحم بين أهل المدينة جميعا ، ويوضح كذلك أن السودان لم يكن هدفهم السيادة أو التحكم في أهل المدينة أو كان لديهم تعصبا لجنسهم بل كانوا يعتبرون أنفسهم جزءا لا يتجزأ من مجتمع المدينة لهم حق الاشتراك في إدارته ، كما ان لهم حق الاشتراك في الدفاع عنه ضد من يعتدي عليه . وقد ظل هذا الاعتقاد لدى السودان حتى بعد انتهاء ثورتهم وفشلها في تحقيق هدفها ، فاشتركوا في مطاردة وقتال الأعراب الذين اقتحموا المدينة واعتدوا على أهلها وهددوا أمنها في أواخر العصر العباسي الأول في سنة (٢٣٠هـ/٨٤٤م)(٧٥).

(٧٤) كان من هؤلاء القاضي محمد بن عمران ، والفقيه ابن أبي ذئب فقد سأل كل منهما زعيم السودان عما سيفعله إذا ما نجحت الثورة . انظر ، البلاذري، أنساب الأشراف ، جـ٣ ص١٢٠.الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، طبعة دار القلم ، جـ٩ ص٢٢٧ .

(٧٥) في سنة (٢٣٠هـ/٨٤٤م) اعتدي الأعراب من بني سليم علي المدينة ونهبوا أهلها ، وتغلبوا علي الجند الذين أرسلهم الوالي لتأديبهم ؛ مما دفع الخليفة الواثق إلي إرسال جيش بقيادة بغا الكبير ، فأوقع بهم الهزيمة وأسر منهم عددا كبيرا ووضعهم في سجن المدينة وخرج لتأديب غيرهم من البدو . وفي غيابه استطاع هؤلاء الأسري أن ينقبوا السجن ويقتلوا الحراس، غير أن محاولتهم باءت بالفشل بسبب تصدي سودان المدينة مع أهلها لهؤلاء الأسري وحملوا عليهم وقتلوا منهم عددا كبيرا ، وطاردوا من وجدوه في السوق منهم ، انظر ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، طبعة دار القلم ، جـ١١ ص ١٢ - ١٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ص ٢٧٠ ، ابن كثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ص٣٠٢ ، ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ٣ص٢٧١.

الخاتمة

وصفوة القول وقد وصلت الدراسة إلى غايتها أن أهل المدينة امتلكوا الرقيق الأسود منذ العصر الجاهلي، وكانت أهم المصادر التي يأتي منها اكثر هذا الرقيق هي : بلاد النوبة وبلاد الحبشة ، والقليل منه يأتي من بلاد الزنج (شرق افريقيا) ، وكان اسم السودان الذي أطلق علي أنواع الرقيق الأسود لفظا جامعا يعني كل من كان أسود البشرة .

أوضحت هذه الدراسة أن أعداد السودان ظلت في تزايد بعد ظهور الاسلام، وكانت أهم أسباب هذه الزيادة في العصر النبوي هى دخول اعداد كبيرة من هذه الطائفة للمدينة ممن كانوا في الأصل رقيقا لأهل مكة والطائف واعتنقوا الاسلام إما هربا من العذاب الذي أوقعه سادتهم بهم، أو انهم دخلوا المدينة بصحبة ساداتهم الذين فضلوا الانتقال إلي جوار الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد فتح مكة .

أما في عصر الخلفاء الراشدين فقد دخل رقيق السودان إلي المدينة ضمن السبي الذي استولى عليه المسلمون نتيجة الفتوحات الاسلامية ، وظل السبي موردا لدخول السودان إلى المدينة في العصر الأموي ، إلى جانب منح الخلفاء الأمويين وأعطياتهم لأهل المدينة منه.

أثبتت هذه الدراسة أن كثرة اعداد السودان في المدينة والصفات التي اتصفوا بها ، والتي كان من أهمها القوة البدنية ، والشجاعة والأمانة ، جعل أهل المدينة يقبلون علي استخدامهم في شتى مجالات

الحياة العملية ، فكانوا عماد الزراعة والرعي ، وقاموا بالعمل في كثير من المهن الصناعية ، وساهموا في أعمال التجارة ، هذا إلى جانب أعمال الخدمة المنزلية ، وبعض الأعمال الشاقة الأخرى .

وقد أتاح اختلاط السودان بأهل المدينة في كثير من مجالات حياتهم الفرصة لتأثير السودان في الحياة الاجتماعية لأهل المدينة ، وكانت أهم هذه التأثيرات ما كان منها في ألعاب اللهو والتسلية ، وخاصة تلك التي تتطلب قوة جسدية وسرعة حركية ، فكانوا طرفا في سباقات الجري والمصارعة ، كما قاموا بالاستعراضات الحركية واللعب بالسلاح وخاصة خلال الاحتفال بالمناسبات والأعياد ، وكذلك كان للسودان دور لا يمكن تجاهله في انتشار الغناء وتقدمه في المدينة خلال العصر الأموي ، وساعدهم على ذلك جمال أصواتهم ، وحبهم للايقاع والطرب .

أما عن تأثير السودان في الحياة الأدبية فقد ظهر واضحا في مجال اللغة حيث انتقل عدد لابأس به من الألفاظ الحبشية إلى اللغة العربية وشاع تداولها واستعمالها حتي انها ذكرت في القرآن الكريم ، وكان لشعراء السودان دورهم أيضا في اثراء الشعر العربي سواء قبل الاسلام أو بعده .

وأثبتت هذه الدراسة أن الممارسات الحربية التي شارك السودان بها في الحياة الحربية في المدينة كان لها دور واضح في عصر النبوه حيث شارك السودان في غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وظلت هذه المشاركة حتي عصر الخلفاء الراشدين ، فكانت مساهمتهم في حروب الفتوحات ملموسة ، وظلت مساهمة

السودان في كل الممارسات الحربية التي حدثت في المدينة في العصر الأموي ، فكان لهم دورهم في موقعة الحرة ، وفي محاربة الخوارج الذين استولوا على المدينة في أواخر العصر الأموي .

بينت هذه الدراسة أن جماعة الرقيق السودان كانت في بداية العصر العباسي تشكل جزءا لا بأس به من التكوين السكاني للمدينة المنورة ، وكانت هذه الجماعات في معظمها تمثل الطبقة العاملة عند سادتهم من أهل المدينة ، وقد أتاح لهم هذا أن يلمسوا عن قرب الصراع الذي دار بين أهل السوق وبين الجند الخرسانيين الذين أتوا إلي المدينة بصحبة الوالي العباسي بسبب نهب هؤلاء الجند لبضائع السوق ورفضهم دفع أثمانها ، وتحيز الوالي للجند بشكل شجع هؤلاء الجند علي الاستمرار في غيهم ، وقد أدي ذلك إلي غضب السودان وأثار نخوتهم ودفعهم لأخذ زمام الموقف والقيام بثورة عارمة قاتلوا فيها الجند وطاردوا الوالي حتى اضطروه للهرب إلي خارج المدينة ، علي أثر اشتباك وقع بين أحد الجند وأحد الجزارين في السوق لرفض الجندي دفع ثمن ما أخذه .

ومن تحليل أحداث هذه الثورة ندرك أن الطريقة السريعة التي تجمع بها السودان ، ووجود القيادة التي نظمت لهذا التجمع والقيام بالثورة تدل علي أن هذه الثورة لم تكن وليدة اللحظة التي تم فيها الاشتباك بين الجندي وبين أهل السوق ، ولكنها ترجع لفترة سابقة حيث أعد السودان لها من قبل ، والاعداد السابق للثورة من جانب السودان يثبت من ناحية أخري أن أسباب الثورة كانت لها جذورها الأخري والتي بدأت من حيث انتهت ثورة محمد النفس الزكية بالفشل ، فقد كان تأييد أهل المدينة لثورة محمد النفس الزكية

ووقوفهم معه سببا في معاقبة العباسيين لهم عقابا أذلهم وأهان كرامتهم مما أثار نخوة السودان وغضبهم لما يحدث لسادتهم من أهل المدينة .

أثبتت هذه الدراسة أن اشعال السودان لهذه الثورة كان من أسبابها أيضا المعاناة الاقتصادية التي أصابت أهل المدينة عامة بسبب الحصار الاقتصادي البري والبحري الذي فرضه المنصور على أهل المدينة كوسيلة من وسائل الضغط عليهم وعقابا لهم بسبب تأييدهم لثورة محمد النفس الزكية واستمرار المنصور في فرض هذا الحصار حتى بعد انتهاء ثورة النفس الزكية ، ويؤكد أهمية هذا العامل فيما قام به السودان من نهب للأطعمة التي كانت مخزونة في دار الامارة لاستعمال الجند ، ثم اشتراك أهل المدينة في تداول هذه الأطعمة بالبيع والشراء ، كما وضح العامل الاقتصادي أيضا في ادراك الوالي لما يعانيه السودان من سوء الأوضاع الاقتصادية فنثر لهم بعض الدراهم ليشغلهم بها عن مطاردته حتى يستطيع الهرب إلى خارج المدينة ، كما أن المظهر الذي وصف به السودان الذين قاموا بالثورة من وضاعة الملابس التي كانوا يلبسونها ، وامتهان بعضهم الشحاذة يؤكد بصورة لا تدع مجالا للشك على أهمية العامل الاقتصادي لهذه الثورة .

أثبتت دراسة أحداث الثورة أن أهل المدينة لم يشاركوا السودان في ثورتهم أولا : لاعتقاد البعض بعدم مقدرة السودان على القيام بثورة منظمة تستطيع التصدي للسلطات العباسية وأن ما قام به السودان لايعدو أن يكون فتنة لا تنظيم لها ، وثانيا : لخوف أهل المدينة من العقاب الذي سوف يقع عليهم إذا مافشلت هذه الثورة والذي كانت لهم معه تجربه سابقة على أثر فشل ثورة النفس الزكية التي لم ينساها الخليفة المنصور لهم بعد .

ولذلك فان العامل الأساسي في انتهاء ثورة السودان بالسرعة التي بدأت بها ، رغم هروب الوالي ، وسيطرة السودان علي الأمر ، هو موقف أهل المدينة ومطالبتهم السودان بانهاء الثورة ، وقد وافقت جموع السودان على ما طلب منها ، في حين أبدي زعماء السودان رفضهم لهذا المطلب وطلبوا أن تتاح لهم الفرصة للانتقام من السلطة العباسية التي أذلت أهل المدينة وأهانتهم ، وقد أدى ذلك إلي القبض علي هؤلاء الزعماء ووضعهم بالسجن ومعاقبتهم بقطع ايديهم بعد رجوع الوالي للمدينة .

أثبتت هذه الدراسة ان قيام السودان بثورة ضد السلطة العباسية بالمدينة وان كان يدل علي احساس هؤلاء السودان بقوة نفوذهم وقدرتهم على التصدي لهذه السلطة إلا انه لم يكن يحمل في طياته أبدا شعور بالتعصب لجنسهم ، فهذه الثورة التي تعد ثورة فريدة من نوعها كانت ثورة من أجل كرامة الأسياد وليست ضدهم كما هو معتاد في ثورات العبيد ، وهي تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن السودان كانوا يشعرون بأنهم جزء لا يتجزأ من مجتمع أهل المدينة وظلوا كذلك حتي نهاية العصر العباسي الأول .

المصـــادر والمراجــع

أولا : المخطوطات :

١ - ابـن الجــوزي : أبـو الـفـرج عبـد الـرحـمـن عـلـي
(ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م)
تنوير الغبش في فضل السودان والحبش
مخطـوطـة بمعهـد مخطوطات جامعـة
الدول العربية ، رقم (١٥٣٣) تاريـخ.

ثانيا : المصادر المطبوعة :

٢ - ابـن الأثيــر : علي بن أبي الكرم محمـد بن محمـد
الشيباني (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)
الكامل في التاريخ
دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٨٠م .

٣ - ———— : أسـد الغابـة في معـرفـة الصحـابـة
طبعة الشعب ، القاهرة ١٩٧٠م .

٤ - الأزرقـــــي : ابو الوليد محمد بن عبد الله بـن أحمد
(ت ٢٢٤هـ / ٨٥٨م)
أخبار مكة
مطابع دار الثافة ، مكة المكرمة ،
١٩٧٨م .

٥ - الاصطخري : ابراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (توفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري)
المسالك والممالك
تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني ،
وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٦١م .

٦ - الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)
الأغاني
دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣م .

٧ - ـــــــ : مقاتل الطالبيين
تحقيق السيد أحمد صقر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٤٩م .

٨ - الأصفهاني : الحسن بن عبد الله المشهور بلغدة (ت القرن الثالث الهجري)
بلاد العرب
تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي ،
منشورات دار اليمامة، الرياض ، ١٩٦٨م .

٩ - ابن بطوطة : أبو عبد الله محمد بن ابراهيم (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)
رحلة ابن بطوطة
دار صادر ، بيروت .

١٠ - البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢ م)
انساب الأشراف
(الجزءالأول) تحقيق محمد حميدالله، دار المعارف ،القاهرة .
(الجزء الثالث) تحقيق محمد باقر المحمودي ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت .

١١ - ـــــــ : فتوح البلدان
نشر صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٦ - ١٩٥٨م .

١٢ - البيهقي : ابراهيم بن محمد (ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م)
المحاسن والمساويء
تحقيق محمد سويد، دار احياء العلوم، بيروت ، ١٩٨٨م .

١٣ - التنوخي : أبو القاسم على بن عبد المحسن بن عبد المنعم (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م)
المستجاد من فعلات الأجواد
تحقيق يوسف البستاني ، دار العرب ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

١٤ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م)
رسائل الجاحظ (فخر السوان علي البيضان)
تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

١٥ - ــــــــ : البيان والتبيين
تحقيق عبد السلام هارون
مكتبة الخانجي ، القاهرة .

١٦ - ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م)
صفة الصفوة
دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٩م .

١٧ - ابن حبيب : أبو جعفر محمد بن حبيب (٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م)
المحبر
تصحيح ايلزه ليختن ستيتر ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت .

١٨ - ابن حجرالعسقلاني : أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)
الاصابة في تمييز الصحابة
دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨م .

١٩ - ــــــــ : فتح الباري بشرح صحيح البخاري
دار المعرفة ، بيروت .

٢٠ - ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م)
جمهرة انساب العرب
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣م.

٢١ - ابن حنبل : أحمد بن حنبل
مسند الامام أحمد بن حنبل
دار الفكر العربي ، القاهرة .

٢٢ - ابن حوقل : أبو القاسم بن حوقف النصيبي
(توفي أواخر القرن الرابع الهجري)
صورة الأرض
دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩م.

٢٣ - ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون
(ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م)
العبر وديوان المبتدأ والخبر
مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٩٧١م .

٢٤ - خليفة بن خياط : أبو عمر خليفة بن خياط
(ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م)
تاريخ خليفة بن خياط
تحقيق سهيل زكار ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٦٨م .

٢٥ - أبو داود : سليمان بن الأشعث السجتاني
(ت ٢٧٥ هـ / ٨٧٠ م)
سنن أبي داود
دار الحديث ، سوريا .

٢٦ - الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود
(ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م)
الأخبار الطوال
تحقيق عبد المنعم عامر، دار المسيرة، بيروت .

٢٧ - الزبيري : ابو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب (ت ٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م)
نسب قريش
نشر إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة .

٢٨ - ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع الزهري
(٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م)
الطبقات الكبرى
دار صادر ، بيروت .

٢٩ - ابن سلام : محمد بن سلام الجمحي
(ت ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م)
طبقات فحول الشعراء
شرح محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة .

٣٠ - السمهودي : نور الدين علي بن أحمد
(ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)
وفاء الوفا بأخباردار المصطفي
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

٣١ - ابن شبة : أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري
(ت ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م)
تاريخ المدينة المنورة
تحقيق فهيم محمد شلتوت ، دار الأصفهاني للطباعة ، جدة ، ١٩٧٩م.

٣٢ - ابن طباطبا : محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م)
الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، دار صادر ، بيروت .

٣٣ - الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير
(ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)
تاريخ الرسل والملوك
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة .
- وطبعة أخرى ، دار القلم، بيروت.

٣٤ - ———— : جامع البيان في تفسير القرآن ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٠ م .

٣٥ - ــــــــ : المنتحب منن كتاب ذيل المذيل ،
ملحق بكتاب تاريخ الرسل والملوك ،
دار المعارف ، القاهرة .

٣٦ - ابن عبد الحكم : ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله
(ت ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م)
فتوح مصر وأخبارها
تحقيق محمد صبيح ، مؤسسة دار
التعاون للطبع والنشر، القاهرة ١٩٦٨م

٣٧ - أبو عبيد : أبو عبيد القاسم بن سلام
(ت ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م)
الأموال
تحقيق محمد خليل هراس، دار الكتب
العملية ، بيروت ، ١٩٨٦م .

٣٨ - الفيروزبادي : مجد الدين بن أبي طاهر محمد بن
يعقوب (ت ٨٢٣ هـ / ١٤١٥ م)
المغانم المطابة في معالم طابة
تحقيق حمد الجاسر ، منشورات دار
اليمامة ، الرياض ، ١٩٦٩م .

٣٩ - ابن قتيبة : محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة
الدينوري (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م)
الشعر والشعراء
تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب
العلمية ، بيروت .

٤٠ - ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر
(ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)
البداية والنهاية
دار الفكر العربي ، القاهرة .

٤١ - الكندي : أبو عمر بن يوسف
(ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م)
كتاب الولاة وكتاب القضاة
تصحيح رفن كست ، مطبعة الآباء
اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨م .

٤٢ - مالك : أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك
الأصبحي (ت ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م)
المدونة الكبري
مكتبة السعادة ، مصر ، ١٣٢٣ هـ .

٤٣ - المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد
(ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م)
الكامل في اللغة والأداب
مكتبة المعارف ، بيروت .

٤٤ - مجهول : (من علماء القرن الثالث الهجري)
العيون والحدائق في أخبار الحقائق
(الجزء الثالث) طبعة بريل ، ١٨٦٩
(الجزءالرابع) تحقيق نبيلة عبدالمنعم،
مطبعة النعمان ، النجف ، ١٩٧٢م .

٤٥ - المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين بن علي
(ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)
مروج الذهب ومعادن الجوهر
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
المكتبة التجارية الكبري ، القاهرة
١٩٦٤ م .

٤٦ - ______ : التنبيه والاشراف
دار مكتبة الهلال ، بيروت، ١٩٨١ م.

٤٧ - المقريزي : تقي الدين ابي العباس أحمد بن علي
(ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)
المواعظ والاعتبار بذكرالخطط والآثار
دار صادر ، بيروت .

٤٨ - ابن منظور : محمد بن مكرم الأنصاري
(ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)
لسان العرب
دار المعارف ، القاهرة .

٤٩ - أبو نعيم : أحمد بن عبد الله الأصبهاني
(ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨ م)
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء
دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م.

٥٠ - ابن هشام : أبو محمد بن عبد الملك بن هشام
المعافري (ت ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م)

السيرة النبوية
تحقيق مصطفى السقا وآخرون .

٥١ - وكيـــع : محمـــد بـــن خلـــف بـــن حيـــان
(ت ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م)
أخبـــار القضـــاة
عالم الكتب ، بيروت .

٥٢ - يـاقـوت : شـهاب الـديـن ياقـوت بـن عبد الله
الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)
معجـــم البلـــدان
دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

٥٣ - ———— : معجـــم الأدبـــاء
دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٠ م

٥٤ - اليعقـوبـي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفربن وهب
(ت ٢٨٤ هـ / ١٨٩٧ م)
تـاريـــخ اليعقـــوبي
دار بيروت للطباعة، بيروت، ١٩٨٠م.

ثالثا : المراجـــع :

٥٥ - ابراهيم مصطفى :
المعجم الوســيط
دار احياء التراث العربــي، بيـروت ،
١٩٨٠ م .

٥٦ - احمد ابراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول
دار الفكر العربي ، القاهرة .

٥٧ - أحمد أمين : فجر الاسلام
دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٩٦٩م.

٥٨ - ——— : ضحي الاسلام
دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٩٨٠م.

٥٩ - أرنولد : توماس
الدعوة إلي الاسلام
ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

٦٠ - ترمنجهام : سبنسر
الاسلام في شرق افريقيا
ترجمة عاطف النواوي، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

٦١ - جواد علي :
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام
مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٨٠ م .

٦٢ - جـونـز : جـــوان
الاسلام فيممالك وامبراطوريات افريقيا السـوداء
ترجمة مختار السويفي ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .

٦٣ - حسن ابراهيم حسن :
انتشار الاسلام في القارة الافريقية
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .

٦٤ - حسن أحمد محمود :
الاسلام والثقافة العربية في افريقيا
دار الفكر العربي ، القاهرة .

٦٥ - سيدة اسماعيل كاشف :
مصر في فجر الاسلام من الفتح العربي إلي قيام الدولة الطولونية
دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

٦٦ - شاكر مصطفي :
دولة بني العباس
وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٣م.

٦٧ - شوقي ضيف :
الشعر والغناء في المدينة ومكة
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٦ م .

٦٨ - ———— : العصر الجاهلي
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .

٦٩ - طه الحاجري :
الجاحظ ، حياته وآثاره
دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩ م .

٧٠ - عبد الله بخيت محمد :
دراسات في الأدب السواحيلي
مكتبة النهضة ، القاهرة .

٧١ - عبد الله السيف :
الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد
والحجاز في العصر الأموي .
الرياض ، ١٩٨٣ م .

٧٢ - عبد الله عبد العزيز بن ادريس :
مجتمع المدينة في عهد الرسول
(صلي الله عليه وسلم)
عمادة شئون المكتبات ، جامعة الملك
سعود ، الرياض ، ١٩٨٢ م .

٧٣ - عطية القوصي :
تجارة مصر في البحرالأحمر منذ فجر
الاسلام حتي سقوط الخلافة العباسية
دار النهضة العربية ، القاهرة ،١٩٧٦م.

٧٤ - فـاروق عـمـر :

بحـوث فـي التـاريـخ العبـاسـي
مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٧٧ م .

٧٥ - قدري قلعجي :

الخليـج العـربي
دار الكاتب العربي ، بيروت .

٧٦ - متـز : آدم

الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، مكتبة الخانجي القاهرة، ودار الكاتب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧ م .

٧٧ - محمد بيومي مهران :

تاريخ العرب القديم
دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٨م .

٧٨ - محمد حسن شراب :

المدينة في العصر الأموي
مؤسسة علم القرآن ، بيروت ،١٩٨٤م.

٧٩ - محمدمحمدالخطراوي :

المدينة في العصر الجاهلي
مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ١٩٨٢ م .

٨٠ - محمود محمدالحويري :
ساحل شرق افريقيا من فجرالاسلام
حتي الغزو البرتغالي
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٦ م .

٨١ - يوسف أحمد :
الاسلام في الحبشة
القاهرة ، ١٩٣٥ م .

رابعا : المراجع الأجنبية :

81. The encycolopaedia of Islam, New edition, Leiden, Brill, 1979.

82. Rushbrooke, E, western Arabia and the red sea, Oxford 1946.

83. Trimingham, Islam in the Sudan, London.

محتويات الكتاب

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٩١/٩٨٨٥

I.S.B.N.

977-00-2743-X